الرحمة بالمخالف في القرآن الكريم



إعداد

د. لولوه بنت عبد الله القضيبي

أستاذ مشارك، بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن

laalqtheby@pnu.edu.sa

الرحمة بالمخالف في القرآن الكريم

المستخلص: إن الرحمة هي رقة القلب لإيصال الخير للناس، وكف الشر عنهم بقدر الاستطاعة وليس معناها فعل ما تهوىٰ النفس، والإقرار بالخطأ، والسكوت علىٰ الباطل. وهذه هي الرحمة الحقيقية. من أهم مظاهر الرحمة بالمخالف أن تدعوه إلىٰ الحق، الذي به سعادته، ولهذا كان من هدي النبي ﷺ قبل أن يبدأ بالقتال أن يدعوهم إلىٰ الله، ويبين لهم الحق الذي يجب عليهم اتباعه. التلطف في الدعوة وسلوك أحسن الطرق من أهم الوسائل لنشر الإسلام؛ لأن المقصود هداية الخلق لا تسفيههم، وإظهار نقصهم وجهلهم فالمريد للحق يدعىٰ بالحكمة، والغافل المعرض يدعىٰ بالموعظة، والجاهل المعاند يدعىٰ بالمجادلة، ومن رحمة الله بخلقه تقييده المجادلة بالحسنىٰ؛ لبيان المقصود منها، وهي: هداية الخلق، وإرشادهم إلىٰ طريق الحق والنور، ليسلموا من عذاب الله وعقابه.

وقسمت هذا البحث إلىٰ ثلاثة مباحث:

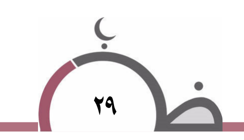
المبحث الأول: مفهوم الرحمة، وفيه: ١/ معنىٰ الرحمة، ٢/ الرحمن الرحيم من أسماء الله الحسنىٰ. ٣/ الرحمة في الإسلام.

المبحث الثاني: معنىٰ المخالف: وأعني به المخالف في الملة والدين، أو في المسائل الاعتقادية مع اتفاق الملة، وفيه: ١/ معنىٰ الخلاف. ٢/ الرحمة بالمخالف من صفات الدعاة إلىٰ الله. ٣/ النبي ﷺ أرحم الخلق بالخلق. ٤/ بيان قواعد في التعامل مع المخالف

المبحث الثالث: نماذج من المخالفين في القرآن، وفيه: ١/ الحكام وذكرت دعوة موسىٰ عليه السلام لأشد المخالفين للدعوة وهو فرعون. ٢/ الآباء وذكرت دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه. ٣/ الأبناء وذكرت دعوة نوح عليه السلام لابنه.

الكلمات المفتاحية: الرحمة، المخالف، التعامل، الدعوة.

***



Mercy towards the opponent in the Qura'nic context

Abstract: Mercy or compassion is the desire to convey the message of Islam to the people , and to keep them away from evil as much as possible. Compassion therefore does not entail behaving as the heart pleases, and being silent on witnessing falsehood. This is the true compassion.

One of the most important manifestations of compassion towards the sinner is to call him to the right path as this will ensure his happiness This is why it was the practice of the Prophet, peace be upon him, to call people to Islam before waging war against them.

As to the methodology, kindness whilst giving da'wah is considered one of the most important mediums in spreading the message of Islam as the intention is to guide people, not to make them appear foolish or ignorant., So a person in search of the truth is given da'wah with wisdom, whereas an unheading person is given da'wah with preaching, and an ignorant insistant person is called to argue and reason. It is also from Allah's mercy that the mention of argument, or persuation in the Quran was accompanied with the mention of 'gentle'. This is make clear that the intention of the persuation or gentle argument is to guide people to the right path and to protect themselves from Allah's punishment.

This research is devided into three parts:

The first part: the concept of mercy:

1. The meaning of compassion.
2. Allah's names:The Most Gracious, The Most Merciful.
3. Mercy in Islam.

The second part: the transgressor or sinner: I mean by this a person who commits transgressions in the deen, or certain aqeedah matters:

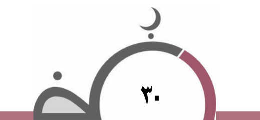
1. The meaning of transgression or sin.
2. The preacher must behave with mercy towards the sinner.
3. The Prophet, peace be upon him, was the kindest of the creation towards the creation.
4. The rulings and principles in dealing with sinners or transgressors.

The third part: Examples of sinners in the Qur'an:

1. The Rulers; and I mentioned the da'wah of Musa, peace be upon him, to Pharoah.
2. Parents; and I mentioned the da'wah of Ibrahim, peace be upon him, to his father.
3. Sons; and I mentioned the da'wah of Noah, peace be upon him, to his son.

Keywords: Mercy, Violator, Dealing, dawah.

❊ ❊ ❊



المقدمة

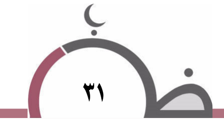
الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ نبي الرحمة أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وبعد:

إن الرحمة هي رقة القلب والعطف، ولهذا سميت الرحم بين الأقارب بذلك لما يحصل بينهم من التعاطف والتكاتف، ومن الرقة لبعضهم البعض. وليس معنىٰ الرحمة فعل ما تهوىٰ النفس، ومطاوعة الهوىٰ والشيطان، والإقرار بالخطأ، والسكوت علىٰ الباطل، ومجاراة أهواء الناس ورغباتهم، وإنما الرحمة بإيصال الخير لهم، وكف الشر عنهم بقدر الاستطاعة، ولهذا ذكر الله في سورة الفاتحة اسمي الرحمن الرحيم، وجعلهما في البسملة؛ ليعلم أن كل فعل له فهو مقتضىٰ الرحمة.

وكان من هدي النبي ﷺ قبل أن يبدأ بالقتال أن يدعوهم إلىٰ الله، ويبين لهم الحق الذي يجب عليهم اتباعه، ولهذا لما أمر الله نبيه ﷺ أن ينذر الناس قام علىٰ الصفا، وصاح بهم، فلما اجتمعوا له، قال: (إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)[1].فدعوة المخالف يراد بها إيصال الخير له، ودفع أسباب العذاب والأذىٰ

---

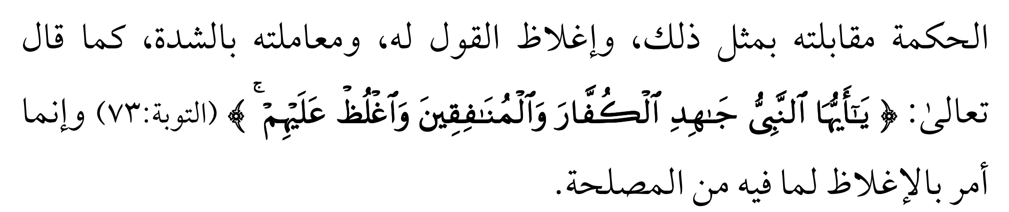
(١) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ (الشعراء:٢١٤)، (٦/ ١١١)، رقم (٤٧٧٠).



عنه، لعله يفوز برضوان الله، وينجو من عذابه، وهذه هي الرحمة الحقيقية.

إن التلطف في الدعوة، وسلوك أحسن الطرق وأقربها هو من انجع السبل لنشر الدعوة إلىٰ الإسلام؛ لأن المقصود هداية الخلق لا تبكيتهم وتسفيههم، وإظهار نقصهم وجهلهم، قال تعالىٰ: ﴿ **ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ** ﴾ (النحل: ١٢٥) فالمريد للحق المقبل عليه يدعىٰ بالحكمة، والغافل المعرض يدعىٰ بالموعظة، والجاهل المعاند يدعىٰ بالمجادلة، ومن رحمة الله بخلقه تقييده المجادلة بالحسنىٰ؛ لبيان المقصود منها، وهي: هداية الخلق، وإرشادهم إلىٰ طريق الحق والنور، ليسلموا من عذاب الله وعقابه، وقال تعالىٰ: ﴿ **وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ** ﴾ (العنكبوت: ٤٦) والنصيحة والدعوة تختلف عن التأنيب، فالمؤنب قصده التعيير والإهانة، وذم من أنبه وشتمه، وإنما تصدر عن عداوة ومباغضة، وأما الناصح فإنه لا يعاديك إذا لم تقبل نصيحته، ويقول: قد وقع أجري علىٰ الله قبلت أو لم تقبل، ويدعو لك بظهر الغيب، ولا يذيع عيوبك، ولا يبثها في الناس، والمؤنب علىٰ خلاف ذلك، وقد أمر الله بالمجادلة بالحسنىٰ حين يكون المخالف متحليًا بالعدل والإنصاف، فإن ظلم وبغىٰ، وتجاوز الحد، وأعرض عن الحق مع ظهوره، وأسرف في مخالفته، وأمعن في طغيانه، فإن من

الحكمة مقابلته بمثل ذلك، وإغلاظ القول له، ومعاملته بالشدة، كما قال تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾ (التوبة:٧٣) وإنما أمر بالإغلاظ لما فيه من المصلحة.



أولاً: أهداف البحث:

١ – بيان أن الرحمة في القرآن شاملة.

٢ – بيان أن القرآن الكريم لم يغفل الرحمة بالمخالف.

٣ – تأثير الرحمة بالمخالف في الدعوة إلىٰ الله. وقبول المخالف بالدين الإسلامي.

ثانياً مشكلة البحث:

١ – هل المخالف في الملة والدين تلزمنا رحمته؟

٢ – هل الرحمة بالمخالف منهج قرآني يُمكن تطبيقه؟

٣ – ما الواجب فعله من أعمال الرحمة بالمخالف؟

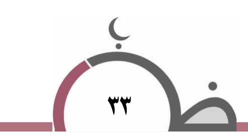
ثالثاً: منهج الدراسة:

المنهج الاستقرائي التحليلي.علىٰ النحو التالي:

١ – جمع الآيات الخاصة بموضوع البحث.

٢ – الرجوع لكتب المفسرين لبيان أقوالهم في معنىٰ الآيات.

٣ – بيان أسلوب القرآن الكريم البديع في الحديث عن رحمة الأنبياء بمخالفيهم.



رابعـًا: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره:

١ - أهمية بيان المنهج الحق في موضوع الرحمة بالمخالف والاستدلال له من القرآن الكريم والسنة المطهرة. مع اضطراب الحياة المعاصرة، وكثرة اختلاط الحق بالباطل.

٢ - إفراد نماذج المخالفين في القرآن ببحث مستقل يُبين اهتمام القرآن بهذا النوع الناس.

٣ - أن كثيرًا من الناس لا يتصور وجود الرحمة في التعامل مع مخالفه والإحسان إليه، ولا يستطيع الجمع بين بيان الحق ورحمة الخلق.

خامسًا: الدراسات السابقة:

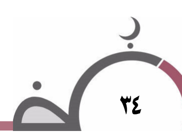
١ - الأربعين في فضل الرحمة والراحمين، لابن طولون الصالحي. وهو عبارة عن جمع أحاديث الرحمة.

٢ - رحمة للعالمين، د. سعيد القحطاني.

٣ - منهج الشيخ عبد الرزاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة والرد علىٰ المخالفين. إعداد: أحمد بن علي الزاملي عسيري.

٤ - التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم، لمنقذ بن محمود السقار.

٥ - فقه الخلاف وأثره في القضاء علىٰ الإرهاب، د. يوسف بن عبد الله الشبيلي.

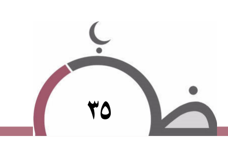


سادساً: خطة البحث:

قسمت البحث إلىٰ ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول: مفهوم الرحمة: ويشمل خمس مسائل:**
  - المسألة الأولىٰ: معاني الرحمة في القرآن.
  - المسألة الثانية: الرحمن الرحيم من أسماء الله الحسنىٰ.
  - المسألة الثالثة: النبي ﷺ أرحم الخلق بالخلق
  - المسألة الرابعة: الرحمة بالمخالف من صفات الدعاة إلىٰ الله.
  - المسألة الخامسة: الرحمة في الإسلام.
- **المبحث الثاني: معنىٰ الخلاف وآداب التعامل مع المخالف: ويشمل مسألتان:**
  - المسألة الأولىٰ معنىٰ الخلاف.
  - المسألة الثانية: آداب التعامل مع المخالف
- **المبحث الثالث: نماذج من المخالفين في القرآن: ويشمل ثلاث مسائل:**
  - المسألة الأولىٰ: المخالف من الحكام
  - المسألة الثانية: المخالف من الآباء.
  - المسألة الثالثة المخالف من الأبناء.
- **الخاتمة: وتشمل أهم النتائج.**

❊ ❊ ❊

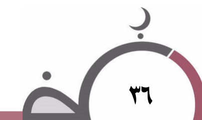


المبحث الأول
مفهوم الرحمة

المسألة الأولىٰ: معاني الرحمة في القرآن:

تدور مادة (ر ح م) حول معنىٰ الرقة والعطف والرأفة، يقول ابن فارس: (رحم) الراء والحاء والميم أصل واحد يدل علىٰ الرقة والعطف والرأفة. يقال من ذلك رحمه يرحمه، إذا رق له وتعطف عليه. والرحم والمرحمة والرحمة بمعنىٰ. والرحم: علاقة القرابة، ثم سميت رحم الأنثىٰ رحما من هذا، لأن منها ما يكون ما يرحم ويرق له من ولد"[1]. ويقول الجوهري: الرَّحْمَةُ: الرِقَّةُ والتعطُّفُ. والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت عليه، وتراحم القوم: رحم بعضهم بعضا.. ورجل مرحوم ومرحم، شدد للمبالغة، والرُحم بالضمة: الرحمة. قال تعالىٰ: ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ (الكهف: ٨١). والرحمة المغفرة، وقوله تعالىٰ في وصف القرآن: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ٥٢) أي فصلناه هاديـًا وذا رحمة ومرحمة، وقال الله ﷻ: ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟

(١) مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس (٢/ ٤٩٨).



بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ ﴾ (البلد: ١٧) أي أوصىٰ بعضهم بعضا برحمة الضعيف والتعطف عليه، وترحمت عليه أي قلت: رحمة الله عليه.... وترحم عليه: دعا له بالرحمة. واسترحمه: سأله الرحمة[١].

من معاني الرحمة في القرآن:

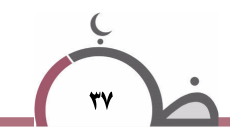
ذكرت كتب اللغة وكتب الأشباه والنظائر والمفسرون[٢] أن الرحمة في القرآن تأتي علىٰ عدة معانٍ، وفيما يلي أبين ما ذكره المفسرون حول معاني الرحمة في القرآن الكريم:

١ - الرزق. قال السعدي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ﴾ (الإسراء: ٢٨) «وهذا أيضا من لطف الله تعالىٰ بالعباد أمرهم بانتظار الرحمة والرزق منه»[٣] ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ ﴾ (يونس: ٢١) أي حيا وخصبا بعد مجاعة، وأراد بالناس الكافرين. قال ابن عاشور: «لما حكىٰ تمرد المشركين بين هنا أنهم في ذلك لاهون ببطرهم وازدهائهم بالنعمة والدعة فأنساهم ما هم فيه من النعمة أن يتوقعوا

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٥/ ١٩٢٩).

(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٢/ ٢٣٠)، ونزهة الأعين النواظر، لابن الجوزي ص (٣٣١ - ٣٣٤).

(٣) تفسير السعدي ص (٤٥٧).



حدوث ضده فتفننوا في التكذيب بوعيد الله أفانين الاستهزاء»[1]، وَمِنْه قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ ﴾ (الإسراء: ١٠٠)، قال أبو السعود: «خزائن رزقه»[2]. ومنها قوله تعالىٰ: ﴿ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ ﴾ (الكهف: ١٦). قال أبو السعود: «﴿ رَحۡمَةِ ﴾ خاصة تستوجب المغفرة والرزق والأمن من الأعداء»[3]. وقال القرطبي: «أي مغفر ورزقا»[4].

٢ – وسمىٰ الله الغيث رحمة لأنه برحمته ينزل من السماء، قال تعالىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ مِنۢ بَعۡدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلۡوَلِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ (الشورىٰ: ٢٨). قال القرطبي: «﴿ وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ ﴾ قيل المطر، وهو قول السدي»[5].

الْمَطَر. وَمِنْه قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ ﴾ (الأعراف: ٥٧). قال البغوي: «يعني: أنها تبشر بالمطر بدليل قوله تعالىٰ: ﴿ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ ﴾ (الروم:٤٦)»[6]، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن

(١) التحرير والتنوير (١١/ ١٣٢).

(٢) تفسير أبي السعود (٥/ ١٩٧).

(٣) المرجع السابق (٥/ ٢٠٦).

(٤) تفسير القرطبي (١٠/ ٣٦٢).

(٥) المرجع السابق (١٦/ ٢٩).

(٦) تفسير البغوي (٣/ ٢٣٨).

رَّحْمَتِهِۦ﴾ (الروم: ٤٦). قال القرطبي: «﴿ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ يعني الغيث والخصب»[١].

٣ - الْجنَّة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ﴾ (النساء: ١٧٥). قال البغوي: «يعني الجنة»[٢].

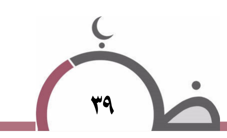
٤ - الْإِسْلَام. وَمِنْه قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ (البقرة: ١٠٥). قال البغوي: «بنبوته»[٣].

٥ - النُّبُوَّة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ (الزخرف: ٣٢)، والمراد بالرحمة النبوة[٤] وَمِنْه قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً ﴾ (هود: ٦٣). قال أبو السعود: «﴿ رَحْمَةً ﴾ نبوة»[٥]. وَمِنْه قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ (هود: ٢٨). قال ابن كثير: «أي: علىٰ يقين وأمر جلي، ونبوة صادقة، وهي الرحمة العظيمة من الله به وبهم»[٦].

٦ - الْقُرْآن. وَمِنْه قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٤٣).
(٢) تفسير البغوي (٢/ ٣١٦).
(٣) المرجع السابق (١/ ١٣٣).
(٤) تفسير أبي السعود (٤/ ٢٢١).
(٥) المرجع السابق (٨/ ٤٦).
(٦) تفسير ابن كثير (٤/ ٣١٧).



(يونس: ٥٨). قال ابن عاشور: «كون القرآن هدىٰ ورحمة للمؤمنين تنبيههم إلىٰ أن ذلك فضل من الله»[١].

٧ - الْعَافِيَة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ أَوۡ أَرَادَنِي بِرَحۡمَةٍ هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ رَحۡمَتِهِۦۚ ﴾ (الزمر: ٣٨). قال القرطبي: «نعمة ورخاء»[٢].

٨ - النَّصْر. وَمِنْه قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ ﴾ (الأحزاب:١٧). قال القرطبي: «أي خيرا ونصرا وعافية»[٣].

٩ - الْمَغْفِرَة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ ﴾ (الْأَنْعَام:٥٤). قال ابن عاشور: «لأن الرحمة العامة تشتمل علىٰ غفران ذنب من عمل ذنبا ثم تاب وأصلح»[٤].

١٠ - الْمَوَدَّة. وَمِنْه قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ (الْفَتْح: ٢٩)، ﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾ قال السعدي: «أي: متحابون متراحمون متعاطفون»[٥].

(١) التحرير والتنوير (١١/ ٢٠٣).
(٢) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٥٩).
(٣) المرجع السابق (١٤/ ١٥١).
(٤) التحرير والتنوير (٧/ ٢٥٨).
(٥) تفسير السعدي ص (٧٩٥).

الرحمة اصطلاحاً:

قال الجرجاني: هي إرادة إيصال الخير[1] قال ابن القيم: إن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلىٰ العبد، وإن كرهتها نفسه وشقت عليها. فهذه هي الرحمة الحقيقية[2].

حقيقة الرحمة رقة القلب، وصفاء النفس وانعطافها المقتضي للمغفرة والإحسان. فهي عاطفة نفسية تؤثر في سلوك أصحابها، فتدفعه إلىٰ العفو عن المسيء، والصفح عن المخطئ، ونصرة الضعيف، ومساعدة المحتاج، وإغاثة الملهوف، وإطعام الجائع، وكسوة العريان، ومداواة المريض، ومواساة الحزين، والأخذ بيد العاجز. فهي إذن مشاركة وجدانية تهدف إلىٰ تخفيف العذاب عن الآخرين.

ومن الواضح أن الرحمة بهذا تُعتبر عملاً إيجابيًا، ومن ثم فإنها تستحق اسم الفضيلة، بل إنها فضيلة عُليا، وعلوها يتفاوت بتفاوت العطاء والجهد الإيجابي الذي ينطوي عليه العمل[3].

المسألة الثانية: الرحمن الرحيم من أسماء الله الحسنىٰ:

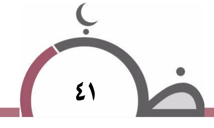
﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ (الفاتحة: ٣) إن لهذين الاسمين شأنًا كبيراً ومكانةً

---

(١) التعريفات، للجرجاني (١/ ١١٠).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم (٢/ ١٧٤).

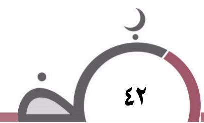
(٣) تهذيب الأخلاق في الإسلام، د. عبد المقصود عبد الغني ص (١٢٣).



عظيمة؛ فهما الاسمان اللذان افتتح الله بهما أم القرآن، وجعلهما عنوان ما أنزله من الهدىٰ والبيان، وضمنهما الكلمة التي لا يثبت لها شيطان، وافتتح بها كتابه نبي الله سليمان ﷺ، وكان جبريل ينزل بها علىٰ النبي ﷺ عند افتتاح كل سورة من القرآن. وأهل الإيمان إذا سمعوا أو أطلقوا وصفي الرحمن الرحيم يراد بهذا الوصف في جانب الله تعالىٰ إثبات الغرض الأسمىٰ من حقيقة الرحمة وهو صدور آثار الرحمة من الرفق واللطف والإحسان والإعانة. ولا خلاف بين أهل اللغة في أن الوصفين دالان علىٰ المبالغة في صفة الرحمة أي تمكنها وتعلقها بكثير من المرحومين... ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ اسمان دالان علىٰ أنه تعالىٰ ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمت كل حي، وكتبها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله. فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم، فله نصيب منها. واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصفات. فيؤمنون مثلا بأنه رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم. فالنعم كلها، أثر من آثار رحمته، وهكذا في سائر الأسماء. يقال في العليم: إنه عليم ذو علم، يعلم به كل شيء، قدير ذو قدرة يقدر علىٰ كل شيء"[1].

---

(١) أضواء البيان، للشنقيطي (١/ ٥)، وتفسير السعدي ص (١، ١٣)، وفقه الأسماء الحسنىٰ عبد المحسن البدر ص (٩٩).



قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالىٰ «الرحمن الرحيم» وهما اسمان مشتقان من الرحمة، وهما من أبنية المبالغة ورحمن أبلغ من رحيم. والرحمن خاص بالله لا يسمىٰ به غيره، ولا يوصف. والرحيم يوصف به غير الله تعالىٰ، فيقال: رجل رحيم، ولا يقال رحمن[1].

وقيل الرحمن ذو الرحمة الشاملة للخلق، والرحيم خاص بالمؤمنين[2].

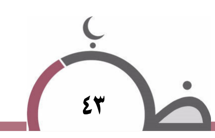
قال الله تعالىٰ: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا** ﴾ (الأحزاب: ٤٣).

المسألة الثالثة: النبي ﷺ أرحم الخلق بالخلق:

ذكر الله ﷻ سبب إرسال نبيه ﷺ لأهل الأرض، فقال: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ** ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، فالمؤمنون قبلوا هذه الرحمة فانتفعوا انتفاعًا عظيمًا، وفازوا فوزًا كبيرًا، وغيرهم كفروا بها، وبدلوا نعمة الله كفرًا، وأبوا رحمة الله ونعمته، فما أصابهم من الشقاء والهوان والذل والعذاب إنما هو من عند أنفسهم، وبسبب سوء صنيعهم، كما أن القرآن جعله الله هدىٰ وشفاء لمن قبل عنه أحكامه، وعمل بمحكمه وآمن بمتشابهه، ومن لم يؤمن به فهو عليه وبال، ولا يزيده إلا ضلالا، قال تعالىٰ: ﴿ **وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ**

(١) النهاية، لابن الأثير (٢/ ١٩٢).

(٢) بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي (٣/ ٥٤).



﴿شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ (الإسراء: ٨٢).

ولقد حث النبي ﷺ علىٰ الرحمة بالناس كلهم، فقد روىٰ البخاري عن أسامة رضي الله عنه، قال: كان ابن لبعض بنات النبي ﷺ يقضي[١]، فأرسلت إليه أن يأتيها، فأرسل «إن لله ما أخذ، وله ما أعطىٰ، وكل إلىٰ أجل مسمىٰ، فلتصبر ولتحتسب»، فأرسلت إليه فأقسمت عليه، فقام رسول الله ﷺ، وقمت معه، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وعبادة بن الصامت، فلما دخلنا ناولوا رسول الله ﷺ الصبي ونفسه تقلقل في صدره - حسبته قال: كأنها شنة[٢] فبكىٰ رسول الله ﷺ، فقال سعد بن عبادة أتبكي، فقال: «إنما يرحم الله من عباده الرحماء» فقال: (من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل)[٣].

وجاء في وصف المؤمنين أنهم أشداء علىٰ الكفار، رحماء بينهم قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ (الفتح: ٢٩)، وهذا يدل علىٰ أن الرحمة علىٰ نوعين:

الأولىٰ: رحمة عامة بالخلق كلهم، وهذه هي التي تكون للكافرين، والشدة لا تنافي وجود الرحمة؛ لأن الشدة حين تكون في موضعها الذي يناسبها

---

(١) (قضىٰ) نحبه مات. مختار الصحاح، باب القاف ص (٢٥٦).

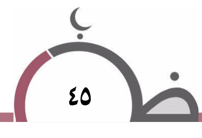
(٢) (الشَّنَّةُ) الْقِرْبَةُ الْخَلَقُ وَجَمْعُ الشَّنِّ (شِنَانٌ)، مختار الصحاح، باب الشين ص (١٦٩).

(٣) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ (الأعراف:٥٦) (٩/ ١٣٣)، رقم (٧٤٤٨).

مظهر من مظاهر الرحمة كما يأتي بعد قليل إن شاء الله.

الثانية: رحمة خاصة للمؤمنين. كما قال الله ﷻ: ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٦)، وقال إخبارًا عن حملة العرش ومن حوله أنهم يقولون: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴾ (غافر: ٧)، فرحمة الله شملت البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ولكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة جعلها الله لمن اتصف بهذه الصفات المذكورة في الآية الأولىٰ.

وقد كان النبي ﷺ يعامل الناس بمقتضىٰ هذه الرحمة، فيعفو عمن ظلمه، ويحسن إلىٰ من أساء إليه، ويحرص علىٰ إيصال الخير والنفع والهدىٰ لكل أحد، وقد كان ذلك سببًا لهداية الخلق، كما في حديث العقبة، فقد أصابه شيء شديد، أشد مما أصابه يوم أحد، ومع ذلك فقد كان قادرًا أن يعذب من خالفه وآذاه إلا أنه آثر التلطف بهم، والتأني في دعوتهم؛ لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيئًا، وهذه أعلىٰ مقامات الرحمة والشفقة؛ لأن النفس إذا أصيبت، وأحست بالذل والهوان، وأصاب البدن عذاب ونكال اشتاقت النفس للتشفي، وداخلها شعور قوي في الانتقام ممن آذاها، فإذا



تمكنت من ذلك وهي في هذه الحالة لم تتردد لحظة واحدة في رد السيئة بمثلها، وهنا يضعف جانب الشفقة والرحمة؛ لأن الجرح ثائر، والمصاب حاضر، ولكن النبي ﷺ بكمال رحمته استطاع أن يسيطر على مشاعره، وأن يغلب جانب الحلم والعفو والصفح؛ رغبة في نشر الخير، وإنقاذ الناس من العذاب.

عن عروة بن الزبير رضي الله عنه، أن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد، قال: (لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا)[1]. قال ابن حجر: وفي هذا الحديث بيان شفقة النبي ﷺ على قومه ومزيد صبره وحلمه وهو موافق لقوله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ

(١) صحيح البخاري. كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين (٤/ ١١٥)، رقم (٣٢٣١).

حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (آل عمران: ١٥٩)[١].

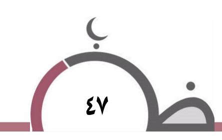
المسألة الرابعة: الرحمة بالمخالف من صفات الدعاة إلىٰ الله:

إن اللين من شعار الدعوة إلىٰ الحق، قال تعالىٰ: ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ ﴾ (النحل: ١٢٥). ومن اللين في دعوة موسىٰ لفرعون قوله تعالىٰ: ﴿ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ۝١٨ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴾ (النازعات: ١٨ - ١٩)، وقوله: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ (طه: ٤٧)، إذ المقصود من دعوة الرسل حصول الاهتداء لا إظهار العظمة وغلظة القول بدون جدوىٰ. فإذا لم ينفع اللين مع المدعو وأعرض واستكبر جاز في موعظته الإغلاظ معه، قال تعالىٰ: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (العنكبوت: ٤٦)، وقال تعالىٰ عن موسىٰ عليه السلام: ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ (طه: ٤٨)[٢].

من صفات الداعية لله أن يكون حليما في دعوته، رفيقا فيها، متحملا صبورا كما فعل الرسل عليهم الصلاة والسلام، وأن يبتعد عن العجلة العنف والشدة، وعليه بالصبر، بالحلم، بالرفق في دعوته، وقد سبق لك بعض الدليل علىٰ ذلك، كقوله جل وعلا: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم

(١) فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٣١٦).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٦/ ٢٢٥).

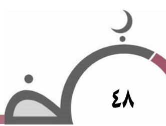


بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ (النحل:١٢٥)، وقوله سبحانه: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ ﴾ (آل عمران:١٥٩)، وقوله ﷻ في قصة موسىٰ وهارون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ (طه:٤٤). وفي الحديث الصحيح عن عبد الرحمن بن شماسة، قال: أتيت عائشة أسألها عن شيء، فقالت: ممن أنت؟ فقلت: رجل من أهل مصر، فقالت: كيف كان صاحبكم لكم في غزاتكم هذه؟ فقال: ما نقمنا منه شيئا، إن كان ليموت للرجل منا البعير فيعطيه البعير، والعبد فيعطيه العبد، ويحتاج إلىٰ النفقة، فيعطيه النفقة، فقالت: أما إنه لا يمنعني الذي فعل في محمد بن أبي بكر أخي أن أخبرك ما سمعت من رسول الله ﷺ، يقول في بيتي هذا: (اللهم، من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم، فارفق به)[1].

فالمسلم يرفق في الدعوة، ولا يشق علىٰ الناس، ولا ينفرهم من الدين، بغلظته ولا بجهله، ولا بالأسلوب العنيف المؤذي الضار، بل يكون سلس القياد، لين الكلام؛ حتىٰ يؤثر في قلب المدعو، فيأنس للدعوة ويلين لها، ويتأثر بها، ويثني علىٰ الداعي بها، ويشكره عليها، أما العنف فهو منفر لا مقرب، ومفرق لا جامع[2].

(١) صحيح مسلم، باب في فضيلة الإمام العادل (٣/ ١٤٥٨)، رقم (١٨٢٨).

(٢) الدعوة إلىٰ الله وأخلاق الدعاة، للشيخ عبد العزيز بن باز ص (٤٥ -٤٦).



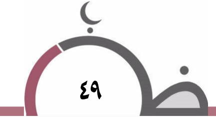
المسألة الخامسة: الرحمة في الإسلام:

لقد ربط الدين الإسلامي بين العقيدة وبين الأخلاق التي ارتضاها لأتباعه ارتباطًا وثيقًا، وإن من مقتضىٰ الإيمان أن يكون المؤمن رحيمًا، وليس المقصود بالرحمة معنىٰ ضيقًا محدوداً بل الرحمة في الإسلام عامة وشاملة لا تخص أحدا دون أحد، ولا نوعا دون نوع[1]. وقال ابن حجر تعليقا علي حديث (من لا يرحم لا يرحم): «قال ابن بطال: فيه الحض علىٰ استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر والبهائم المملوك منها وغير المملوك، ويدخل في الرحمة التعاهد بالإطعام، والسعي، والتخفيف في الحمل، وترك التعدي بالضرب»[2]. قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: «إن الشريعة كلها مبنية علىٰ الرحمة في أصولها وفروعها، وفي الأمر بأداء الحقوق سواء كانت لله أو للخلق، فإن الله لم يكلف نفسا إلا وسعها، وإذا تدبرت ما شرعه الله عز وجل في المعاملات والحقوق الزوجية وحقوق الوالدين والأقربين، والجيران، وسائر ما شرع وجدت ذلك كله مبنيا علىٰ الرحمة، ثم قال: لقد وسعت هذه الشريعة برحمتها وعدلها العدو والصديق، ولقد لجأ إلىٰ

---

(١) أخلاقنا، د. محمد جوهري ص (٣٧- ٣٩)، ونضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٦/ ٢١٠٢).

(٢) فتح الباري، لابن حجر، باب الرحمة للناس والبهائم (١٠/ ٤٤٠).



حصنها الحصين الموفقون من الخلق»[1] عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، قال: كان سهل بن حنيف، وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة، فقاما، فقيل لهما إنها من أهل الأرض أي من أهل الذمة، فقالا: إن النبي ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي، فقال: (أليست نفساً)[2].

❊ ❊ ❊

---

(١) الرياض الناضرة، لعبد الرحمن السعدي (١/ ٤٠٥).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي (٢/ ٨٥٩)، رقم (١٣٢١).

المبحث الثاني
آداب التعامل مع المخالف في ضوء الآيات الكريمة

المسألة الأولىٰ: معنىٰ الخلاف:

الخلاف في اللغة والاختلاف والمخالفة بمعنًىٰ واحد[1]. قال في المصباح المنير: «خالفته مخالفة وخلافًا وتخالف القوم واختلفوا إذا ذهب كل واحدٍ إلىٰ خلاف ما ذهب إليه الآخر، وهو ضد الاتفاق»[2].

ولا يختلف المعنىٰ الشرعي للخلاف عن المعنىٰ اللغوي، إلا أنه مقصور علىٰ الاختلاف في المسائل الشرعية، فالعلاقة بين المعنيين هي علاقة عموم وخصوص مطلق، ذلك أن علماء الشريعة يطلقون الخلاف علىٰ المسائل الشرعية التي لم يجمع عليها، فالخلاف ضد الإجماع.

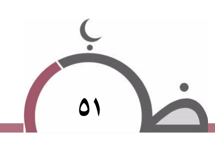
ونعني بالخلاف هنا ما هو أشمل من الخلاف في المسائل الفقهية الاجتهادية، فيدخل في ذلك المخالفة في المسائل الاعتقادية، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ (آل عمران: ١٠٥)[3].

---

(١) فقه الخلاف وأثره في القضاء علىٰ الإرهاب، د. يوسف الشبيلي ص (٤).

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي (١/ ١٧٩).

(٣) القاموس المحيط للفيروزآبادي ص (١٠٤٥).



فالمخالف هو من خالفك في الملة والدين، أو في المسائل الاعتقادية مع اتفاق الملة، أو في مسائل الحلال والحرام، بحيث كان منهمكًا في الشهوات، غارقًا في اقتراف المحارم، معرضًا عن فعل الواجبات. وهؤلاء لهم معاملة خاصة، قوام هذه المعاملة الرحمة وتقوىٰ الله ﷻ فيهم.

المسألة الثانية: آداب التعامل مع المخالف:

يعتقد المسلمون أن دينهم هو الحق المبين، وأن ما عداه ديانات إلهية حُرفت ثم نُسخت بالإسلام، أو ضلالات وتخبطات أوجدها البشر جهلاً منهم بحقيقة الدين والمعتقد أو بغيـًا وهوىٰ، وأن كل ذلك يحيق بأصحابه عذاب النار.

وقد أشفق المسلمون علىٰ إخوانهم في البشرية من هذا المصير المؤلم، وعملوا جهدهم علىٰ استنقاذهم منه ومن دياجير العيش في ظلال الكفر، ولم يدخروا جهداً في استمالة الأمم والشعوب التي اختلطوا بها إلىٰ الإسلام، وذلك بما آتاهم الله من حجة ظاهرة وخلق قويم ودين ميسر تقبله الفطر، ولا تستغلق عن فهم مبادئه العقولُ.

ولم يعمد المسلمون طوال تاريخهم الحضاري العظيم إلىٰ إجبار الشعوب أو الأفراد الذين تحت ولايتهم، وذلك تطبيقـًا لمجموعة من المبادئ الإسلامية التي رسخت فيهم هذا السلوك.

وإِنَّ المتأمِّل للواقع اليوم، وما يجري فيه، من خلاف ونزاع، في مسائل

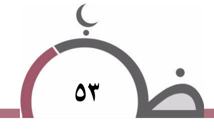
فرعية، أو جزئية بين بعض طلبة العلم الشرعي، وبعض الدعاة إلىٰ الله تعالىٰ، من خلال كثرة الردود والمقالات، المنتشرة بين دفتي الصحف والمجلات، وبعض المواقع الإلكترونية، وتصعيد هذا الخلاف؛ ليصل إلىٰ حد الفرقة والاختلاف، أو قد يصل أحياناً لحد الفجور في الخصومة، والبغضاء والإجحاف، ما هو إلا بسبب ضعف الأهلية في فهم مسائل الخلاف وعدم إدراك بعض الطرق في التعامل مع المخالف؛ مِن منطلق القواعد الشرعية وفهم السلف الصالح.

ونجد أن علمائنا رحمهم الله قد درجوا منذ القدم علىٰ إرساء القواعد في التعامل مع المخالف والرَّدِّ عليه؛ فهذا الإمام ابن قيم الجوزية يُقعِّد لنا عدة أصول وقواعد في آداب التعامل مع المخالف؛ ويَضرب لنا أروع المثل في التَّجرُّد للحق، والنزوع إليه؛ فلم يمنعه إكباره للمتقدِّمين من العلماء، وإجلاله لهم، أن يُبيِّن خطأ الواحد منهم، إذا زَلَّت به القدم، أو كَبا به الفهم، بحكم الطبيعة البشرية؛ لأنه قد وطَّن نفسه علىٰ أن الحق وحده ودليله؛ هو الواجب اتباعه مطلقاً، بصرف النظر عن قائله.[1] ومن هذه الآداب:

أولاً: الخلاف جبلة بشرية:

إن التعدّد في المخلوقات وتنوّعها سنة الله في الكون، فطبيعة الوجود في الكون أساسها التّنوّع والتّعدّد. والإنسانية خلقها الله وفق هذه السنة الكونية،

(١) انظر: التعايش مع غير المسلمين، لمنقذ بن محمود السقار ص (٢٢- ٣٠)، ومقال: قواعد في التعامل مع المخالف من منظور ابن القيم، لخالد الأنصاري.



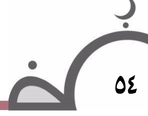
فاختلف البشر إلىٰ أجناس مختلفة وطبائع شتىٰ، وكلّ من تجاهل وتجاوز أو رفض هذه السُّنة الماضية لله في خلقه، فقد ناقض الفطرة وأنكر المحسوس.

واختلاف البشر في شرائعهم هو أيضـًا واقع بمشيئة الله تعالىٰ الكونية ومرتبط بحكمته، يقول الله: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** ﴾ (المائدة: ٤٨).

قال ابن كثير: ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام، المتفقة في التوحيد، كما ثبت في صحيح البخاري، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (أنا أولىٰ الناس بعيسىٰ ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتىٰ ودينهم واحد)[1]. يعني بذلك التوحيد، الذي بعث الله به كل رسول أرسله، وضمنه كل كتاب أنزله، كما قال تعالىٰ: ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ** ﴾ (الأنبياء: ٢٥)، وقال تعالىٰ: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ** ﴾ (النحل: ٣٦)، وأما الشرائع فمختلفة في الأوامر والنواهي، فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراما

---

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما جاء في قوله تعالىٰ: ﴿ **وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ** ﴾ (مريم:١٦) (٤/ ١٦٧، رقم (٣٤٤٣).



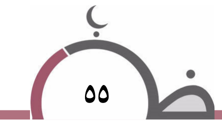
ثم يحل في الشريعة الأخرىٰ، وبالعكس، وخفيفا فيزاد في الشدة في هذه دون هذه. وذلك لما له تعالىٰ في ذلك من الحكمة البالغة، والحجة الدامغة[1].

ولما كان الاختلاف والتّعدّد آية من آيات الله، فإنّ الذي يسعىٰ لإلغاء هذا التّعدّد كلية، فإنما يروم محالاً ويطلب ممتنعـًا، لذا كان لابد من الاعتراف بالاختلاف.

قال الإمام ابن القيم ﵀: «ووقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لابُدَّ منه لتفاوت إرادتهم وأفهامهم، وقوىٰ إدراكهم، ولكن المذموم بَغْي بعضهم علىٰ بعض وعدوانه، وإلا فإذا كان الاختلاف علىٰ وجه لا يُؤدِّي إلىٰ التباين والتحزب، وكل مِن المُختلفينِ قصده طاعة الله ورسوله لم يضر ذلك الاختلاف؛ فإنه أمر لابُدَّ منه في النشأة الإنسانية، ولكن إذا كان الأصل واحداً، والغاية المطلوبة واحدة، والطريق المسلوكة واحدة لم يكد يقع اختلاف، وإن وقع كان اختلافا لا يضر؛ كما تقدَّم من اختلاف الصحابة؛ فإنَّ الأصل الذي بنوا عليه واحد وهو كتاب الله وسنة رسوله، والقصد واحد، وهو طاعة الله ورسوله، والطريق واحد، وهو النظر في أدلة القرآن والسنة، وتقديمها علىٰ كل قول ورأي وقياس وذوق وسياسة»[2].

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٩).

(٢) الصواعق المرسلة، لابن القيم (٢/ ٥١٩).



ثانيـًا: الصبر علىٰ أذىٰ المخالف:

قد يقع من المخالف جفاء وغلظة، أو تكلم بما لا يليق، أو فعل ما لا ينبغي، فيصبر المؤمن علىٰ ذلك، ويؤمل بصبره أن ينقذ المدعو من النار، وأن يفوز برضىٰ الله.

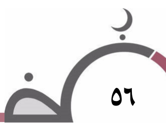
قال الإمام ابن القيم في الثناء علىٰ شيخه الإمام ابن تيمية رحمهما الله: «وما رأيت أحدا قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية، وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه. وما رأيته يدعو علىٰ أحد منهم قط، وكان يدعو لهم. وجئت يوما مبشرا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذىٰ له. فنهرني وتنكر لي واسترجع. ثم قام من فوره إلىٰ بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلىٰ مساعدة إلا وساعدتكم فيه. ونحو هذا من الكلام. فسروا به ودعوا له. وعظموا هذه الحال منه. فرحمه الله ورضي عنه»[1].

ثالثـًا: عدم إنكار المنكر إذا كان يُفضي لمنكر أعظم منه:

فإن المقصود من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إظهار الخير، وقمع الشر، وحمل الناس علىٰ ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، فإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجران إلىٰ مفسدة عظيمة فإن المؤمن يترك بيان

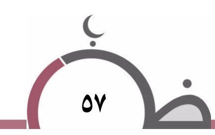
---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٣٢٨- ٣٢٩).



ذلك، ولهذا نهىٰ النبي ﷺ عن قتال الأئمة الظلمة، حتىٰ يرو كفرًا بواحًا؛ لما فيه سفك الدماء، وحلول المصائب التي هي أعظم من ظلمهم، ولكن لا يعني ذلك عدم البيان، والسكوت عن المنكر، بل المقصود بيان أن المؤمن يحرص علىٰ رحمة الخلق وعدم انتقالهم إلىٰ فساد أعظم مما هم فيه، قال الإمام ابن القيم رحمه الله أن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلىٰ الله ورسوله فإنه لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار علىٰ الملوك والولاة بالخروج عليهم؛ فإنه أساس كل شر وفتنة إلىٰ آخر الدهر، عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ، قال: (من رأىٰ من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات، إلا مات ميتة جاهلية)[1] تأمل ما جرىٰ علىٰ الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل وعدم الصبر علىٰ منكر؛ فطلب إزالته فتولد منه ما هو أكبر منه؛ فقد كان رسول الله ﷺ يرىٰ بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عزم علىٰ تغيير البيت ورده علىٰ قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك - مع قدرته عليه - خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك لقرب عهدهم بالإسلام وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا

(١) صحيح البخاري (٩/ ٤٧)، رقم (٧٠٥٤).



لم يأذن في الإنكار علىٰ الأمراء باليد؛ لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وجد سواء[1].

رابعـاً: عدم الرّدِ علىٰ المخالف خطأه إذا كان مُطاعـاً بين قومه:

وجعل ذلك ابن القيم رحمه الله مِن الفطنة والكياسة فقال: «ومن دقيق الفطنة: أنك لا ترد علىٰ المطاع خطأه بين الملأ، فتحمله رتبته علىٰ نصرة الخطأ. وذلك خطأ ثان، ولكن تلطف في إعلامه به، حيث لا يشعر به غيره»[2].

خامسـاً:

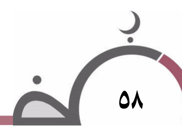
التفريق بين المظهر للعداوة الساعي فيها، المعلن بها، وبين المعرض عن ذلك، ولهذا نهىٰ النبي ﷺ عن قتل النساء والصبيان والعجائز والمعتكفين في معابدهم.

سادسـاً: حسن العشرة والمعاملة الحسنة:

أمر الله في القرآن الكريم المسلمين ببر مخالفيهم في الدين، الذين لم يتعرضوا لهم بالأذىٰ والقتال، وذلك ما ينطبق علىٰ مواطنينا من أهل الأديان وكذلك أهل سائر البلدان غير المسلمة، فكل هؤلاء يصدق فيهم قول الله: ﴿ **لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ**

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٣/ ١٢).

(٢) الطرق الحكمية، لابن القيم ص (٣٨).

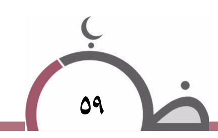


﴿ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ (الممتحنة: ٨).

قال الطبري: وأولىٰ الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله ﷻ عمّ بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ﴾ جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصصْ به بعضًا دون بعض،.... وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾ يقول: إن الله يحبّ المنصفين الذين ينصفون الناس، ويعطونهم الحقّ والعدل من أنفسهم، فيبرّون من برّهم، ويُحْسنون إلىٰ من أحسن إليهم»[1].

ويعدد الإمام القرافي صوراً للبر يرىٰ أن الآية تأمر المسلم بها، وتحكم من خلالها علاقته مع غير المسلمين ممن لم يحاربهم في الدين ولا الأرض، فيقول: «أن نبرهم بكل أمر لا يؤدي إلىٰ أحد الأمرين أحدهما: ما يدل ظاهره علىٰ مودات القلوب. وثانيهما: ما يدل ظاهره علىٰ تعظيم شعائر الكفر، وذلك كالرفق بضعيفهم وسد خلة فقيرهم وإطعام جائعهم وإكساء عاريهم ولين القول لهم علىٰ سبيل اللطف لهم والرحمة لا علىٰ سبيل الخوف والذلة واحتمال أذيتهم في الجوار مع القدرة علىٰ إزالته لطفا منا بهم لا خوفا وتعظيما والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة ونصيحتهم في جميع

(١) تفسير الطبري (٢٣/ ٣٢٣).



أمورهم في دينهم ودنياهم وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا علىٰ دفع الظلم عنهم وإيصالهم لجميع حقوقهم وكل خير يحسن من الأعلىٰ مع الأسفل أن يفعله ومن العدو أن يفعله مع عدوه فإن ذلك من مكارم الأخلاق. إلا أنه ينبغي أن يكون لا علىٰ وجه التعظيم لهم وتحقير أنفسنا بذلك الصنيع لهم بل امتثالا منا لأمر ربنا ﷻ وأمر نبينا ﷺ»[1].

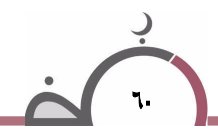
قد أوجب الإسلام حسن العشرة وصلة الرحم حتىٰ مع الاختلاف في الدين، فقد أمر الله بحسن الصحبة للوالدين؛ وإن بذلا الجهد في رد ابنهما عن التوحيد إلىٰ الشرك، فإن ذلك لا يقطع حقهما في بره وحسن صحبته: ﴿ **وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ (لقمان: ١٥).

قال ابن كثير: «إن حرصا عليك كل الحرص علىٰ أن تتابعهما علىٰ دينهما، فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعنك ذلك من أن تصاحبهما في الدنيا معروفا، أي: محسنا إليهما»[2].

---

(١) الفروق، للقرافي (٣/ ٢٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٣٣٧).



سابعـًا: التكافل الاجتماعي[1]:

من أهم الضمانات التي يقدمها الإسلام لغير المسلمين - الذين يقيمون في المجتمع المسلم - كفالتهم ضمن نظام التكافل الإسلامي؛ فإن الله ﷻ بعث نبيه ﷺ رحمة للعالمين: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ** ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وقد أمر ﷺ المسلمين أن يتصفوا بصفة الرحمة، في تعاملهم فيما بينهم ومع غيرهم، بل وحتىٰ مع الحيوان، فقال ﷺ: «**لا يرحم الله من لا يرحم الناس**»[2] وكلمة الناس لفظة عامة تشمل كل أحد، دون اعتبار لجنس أو دين. قال ابن بطال: «فيه الحض علىٰ استعمال الرحمة لجميع الخلق ، فيدخل المؤمن والكافر والبهائم والمملوك منها وغير المملوك»[3].

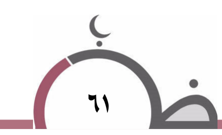
وحث الإسلام أيضـًا المؤمنين وألزمهم بالإحسان والبر في معاملة من لا يعتدي علىٰ المسلمين، فقال ﷻ: ﴿ **وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ** ﴾ (البقرة: ١٩٥).

ويقول السرخسي: «لنا أن المقصود سد خلة المحتاج ودفع حاجته بفعل

(١) انظر: التعايش مع غير المسلمين، لمنقذ السقار ص (٣٧- ٣٩)، ومقال: قواعد في التعامل مع المخالف من منظور ابن القيم، لخالد الأنصاري.

(٢) أخرجه البخاري باب قول الله ﷻ: ﴿ **قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَ** ﴾ (الإسراء:١١٠) (٩/ ١١٥)، رقم (٧٣٧٦).

(٣) تحفة الأحوذي (٦/ ٤٢).



هو قربة من المؤدي، وهذا المقصود حاصل بالصرف إلىٰ أهل الذمة، فإن التصديق عليهم قربة بدليل التطوعات، لأنّا لم ننه عن المبرة لمن لا يقاتلنا، قال الله تعالىٰ: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ (الممتحنة: ٨)»[1].

وأمر القرآن الكريم ورغَّب بالصدقة علىٰ غير المسلمين، فقد روىٰ النسائي في السنن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَرْضَخُوا لِأَنْسِبَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسَأَلُوا، فَرَضَخَ لَهُمْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢٧٢)»[2]. قال الطبري: يعني تعالىٰ ذكره بذلك: ليس عليك يا محمد هدىٰ المشركين إلىٰ الإسلام، فتمنعهم صدقة التطوع، ولا تعطيهم منها ليدخلوا في الإسلام حاجة منهم إليها، ولكن الله هو يهدي من يشاء من خلقه إلىٰ الإسلام فيوفقهم له، فلا تمنعهم الصدقة[3].

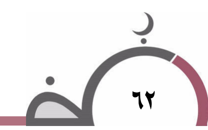
***

---

(١) المبسوط، للسرخسي (٣/ ١١١).

(٢) السنن الكبرىٰ، للنسائي (١٠/ ٣٨)، كتاب التفسير، باب قوله تعالىٰ: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾ (البقرة:٢٧٢) (١٠/ ٣٨)، رقم (١٠٩٦٨).

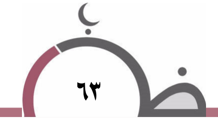
(٣) تفسير الطبري (٥/ ٥٨٧).



المبحث الثالث
نماذج من المخالفين في القرآن الكريم

أدرك المسلمون مهمتهم الدعوة إلىٰ الله وأن هداية الجميع من المحال، وأن أكثر الناس -كما أخبر الله- لا يؤمنون ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ (يوسف: ١٠٣)، وأدركوا أيضـاً أن واجب الدعاة هو الدأب في دعوة الآخرين وطلب أسباب هدايتهم. فإن مهمتهم هي البلاغ فحسب، والله هو من يتولىٰ حساب المعرضين في الآخرة، قال الله مخاطباً نبيه ﷺ: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ ﴾ (النحل: ٨٢). وقال تعالىٰ: ﴿ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾ (آل عمران: ٢٠). وقال تعالىٰ: ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ﴾ (الرعد: ٤٠). وقال تعالىٰ: ﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾ (الغاشية: ٢١ - ٢٢).

ولذلك فإن المسلم لا يشعر بحالة الصراع مع ذاك الذي تنكب الهداية وأعرض عن أسبابها، فإنما حسابه علىٰ الله في يوم القيامة، فقد قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ ﴾ (البقرة: ٢٧٢). وقال له وللأمة من بعده: ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ



أَهْوَآءَهُمْۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَاۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ (الشورى: ١٥).

في هذا المبحث الأخير سيتم التركيز على ثلاثة نماذج من المخالفين ذكرهم القرآن الكريم، وهم: المخالف من الحكام ويمثله أعتى الطغاة فرعون، والمخالف من الآباء ويمثله والد سيدنا إبراهيم عليه السلام، والمخالف من الأبناء ويمثله ابن سيدنا نوح عليه السلام. وسوف نعرض للآيات التي تناولت تلك الرحمة التي اتصف بها أنبياء الله موسى وإبراهيم ونوح عليهم الصلاة والسلام. ثم نبين ما استنبط العلماء من الآيات.

المسألة الأولى: المخالف من الحكام:

أمر الله تعالى موسى وأخاه هارون عليهما السلام بالذهاب إلى فرعون وهو أشد المخالفين للدعوة، وأن تكون الدعوة إلى دين الله بالقول اللين وعدم القنوط، فقال تعالى مخاطباً لهما: ﴿**ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ**﴾ (طه: ٤٣ – ٤٤). وقال تعالى: ﴿**ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ**﴾ (النازعات: ١٧ – ١٩).

أقوال المفسرين في المراد بالقول اللين المذكور في الآية:

والقول اللين: الكلام الدال على معاني الترغيب والعرض واستدعاء الامتثال، بأن يظهر المتكلم للمخاطب أن له من سداد الرأي ما يتقبل به الحق

ويميز به بين الحق والباطل مع تجنب أن يشتمل الكلام علىٰ تسفيه رأي المخاطب أو تجهيله. فشبه الكلام المشتمل علىٰ المعاني الحسنة بالشيء اللين[1].

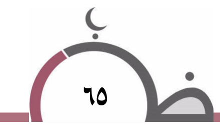
قال ابن كثير عن قوله تعالىٰ: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ (طه:٤٤) هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسىٰ عليه السلام صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين[2].

ذكر القرطبي في قوله تعالىٰ: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ دليل علىٰ جواز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن ذلك يكون باللين من القول لمن معه القوة، وضمنت له العصمة، ألا تراه قال: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ وقال: ﴿ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (طه: ٤٦) فكيف بنا فنحن أولىٰ بذلك، وحينئذ يحصل الآمر أو الناهي علىٰ مرغوبة، ويظفر بمطلوبه، وهذا واضح.

﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ أي: سهلا لطيفا، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحش ولا صلف، ولا غلظة في المقال، أو فظاظة في الأفعال، قال القرطبي: وقد قيل إن القول اللين قول موسىٰ: (يا فرعون إنا رسولا ربك رب

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١٦/ ٢٢٥)، وتفسير السعدي ص (٥٠٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٩٤).



العالمين). فسماه بهذا الاسم لأنه كان أحب إليه مما سواه قلت: القول اللين هو القول الذي لا خشونة فيه، مع وضوح الحق فيه.فإذا كان موسىٰ أمر بأن يقول لفرعون قولا لينا، فمن دونه أحرىٰ بأن يقتدي بذلك في خطابه، وأمره بالمعروف في كلامه. وقد قال الله تعالىٰ: ﴿ **وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ (البقرة: ٨٣)[١].

وقد فسر القول اللين في قوله: ﴿ **فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ** ﴾ (النازعات: ١٨ - ١٩) وهذا مروي عن ابن مسعود رضي الله عنه، فإن في هذا الكلام من لطف القول وسهولته وعدم بشاعته ما لا يخفىٰ علىٰ المتأمل فإنه أتىٰ بـ«هل» الدالة علىٰ العرض والمشاورة التي لا يشمئز منها أحد ودعاه إلىٰ التزكي والتطهر من الأدناس التي أصلها التطهر من الشرك الذي يقبله كل عقل سليم ولم يقل «أزكيك» بل قال «تزكىٰ» أنت بنفسك ثم دعاه إلىٰ سبيل ربه الذي رباه وأنعم عليه بالنعم الظاهرة والباطنة التي ينبغي مقابلتها بشكرها وذكرها فقال: ﴿ **وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ** ﴾ (النازعات:١٩) فلما لم يقبل هذا الكلام اللين الذي يأخذ حسنه بالقلوب علم أنه لا ينجع فيه تذكير فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

الكلمة الطيبة وأثرها في النفوس:

إن القرآن الكريم يدعونا إلىٰ أن نختار الكلام الحسن الذي يجمع ولا

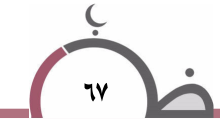
(١) تفسير القرطبي (١١/ ١٩٩ - ٢٠٠).



يُفرق، يوصل بين المتقاطعين، ولو تدبرنا كتاب الله لوجدنا فيه آيات كثيرة تدعونا إلىٰ الاهتمام بطيب القول من ذلك قوله تعالىٰ: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا ﴾ (البقرة: ٨٣). قال الفخر الرازي: قال أهل التحقيق: كلام الناس مع الناس إما أن يكون في الأمور الدينية أو في الأمور الدنيوية، فإن كان في الأمور الدينية فإما أن يكون في الدعوة إلىٰ الإيمان وهو مع الكفار أو في الدعوة إلىٰ الطاعة وهو مع الفاسق، أما الدعوة إلىٰ الإيمان فلا بد وأن تكون بالقول الحسن كما قال تعالىٰ لموسىٰ وهارون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴾ (طه: ٤٤) أمرهما الله تعالىٰ بالرفق مع فرعون مع جلالتهما ونهاية كفر فرعون وتمرده وعتوه علىٰ الله تعالىٰ، وقال لمحمد ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾ (آل عمران: ١٥٩) ...الآية، وأما دعوة الفساق فالقول الحسن فيه معتبر، قال تعالىٰ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ (النحل: ١٢٥). وقال: ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ (فصلت: ٣٤)، وأما في الأمور الدنيوية فمن المعلوم بالضرورة أنه إذا أمكن التوصل إلىٰ الغرض بالتلطف من القول لم يحسن سواه، فثبت أن جميع آداب الدين والدنيا داخلة تحت قوله تعالىٰ: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا ﴾ (البقرة: ٨٣)[1].

---

(١) تفسير الرازي (٣/ ٥٨٩).



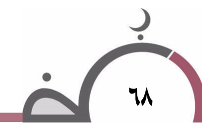
وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وتعليمهم العلم، وبذل السلام، والبشاشة وغير ذلك من كل كلام طيب.

ولما كان الإنسان لا يسع الناس بماله، أمر بأمر يقدر به على الإحسان إلى كل مخلوق، وهو الإحسان بالقول، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار، ولهذا قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ (العنكبوت:٤٦). ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده، أن يكون الإنسان نزيها في أقواله وأفعاله، غير فاحش ولا بذيء، ولا شاتم، ولا مخاصم، بل يكون حسن الخلق، واسع الحلم، مجاملا لكل أحد، صبورا على ما يناله من أذى الخلق، امتثالا لأمر الله، ورجاء لثوابه»[1].

المسألة الثانية: المخالف من الآباء:

وفيها يتجلى موقف إبراهيم عليه السلام مع أبيه، ويتضح ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ

(١) تفسير السعدي ص (٥٧).



لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ (مريم: ٤١ - ٤٥).

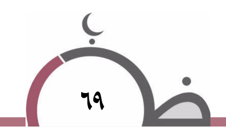
إبراهيم عليه السلام يتلطف مع أبيه في دعوته للتوحيد:

وتبدو في هذه الحلقة شخصية إبراهيم الخليل عليه السلام تبدو وداعته وحلمه في ألفاظه وتعبيراته التي يبينها القرآن الكريم، وفي تصرفاته ومواجهته للجهالة من أبيه. كما تتجلىٰ رحمة الله به وتعويضه عن أبيه وأهله المشركين ذرية صالحة تنسل أمة كبيرة، فيها الأنبياء وفيها الصالحون. وقد خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ينحرفون عن الصراط الذي سنه لهم أبوهم إبراهيم. هم هؤلاء المشركون. وقد وصف الله إبراهيم الخليل عليه السلام بأنه كان صديقا نبيـًا.

وقد توجه إبراهيم الخليل عليه السلام إلىٰ أبيه بلطف في الخطاب، يحاول أن يهديه إلىٰ الخير الذي هداه الله إليه، وعلمه إياه وهو يتحبب إليه فيخاطبه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ ويسأله: ﴿ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ (مريم:٤٢).

كان إبراهيم عليه السلام حريصـًا جداً علىٰ هداية أبيه، فكان يصارحه فيما هو عليه من كفر، وأن هذا الكفر إن لم يقلع عنه سيذهب به إلىٰ النار، ولذلك كان إبراهيم عليه السلام يكرر إبراهيم عليه السلام دعوته لأبيه بغاية التلطف واللين معه، مستعملاً في خطابه معه ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾.

ولقد سلك عليه السلام في دعوته أحسن منهاج وأقوم سبيل واحتج عليه أبدع



احتجاج بحسن أدب وخلق جميل لئلا يركب متن المكابرة والعناد ولا ينكب بالكلية عن محجة الرشاد حيث طلب منه علة عبادته لما يستخف به عقل كل عاقل من عالم وجاهل ويأبىٰ الركون غليه فضلا عن عبادته التي هي الغاية القاصية من التعظيم مع أنها لا تحق إلا لمن له الاستغناء التام والإنعام العام الخالق الرازق المحيي المميت المثيب المعاقب ونبه علىٰ أن العاقل يجب أن يفعل كل ما يفعل لداعية صحيحة وغرض صحيح والشيء لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا قادرا علىٰ النفع والضر مطيقا بإيصال الخير والشر لكن كان ممكنا لاستنكف العقل السليم عن عبادته وإن كان أشرف الخلائق لما يراه مثله في الحاجة والانقياد للقدرة القاهرة الواجبة فما ظنك بجماد مصنوع من حجر أو شجر ليس له من أوصاف الإحياء عين ولا أثر ثم دعاه إلىٰ أن يتبعه ليهديه إلىٰ الحق المبين لما أنه لم يكن محظوظا من العلم الإلهي مستقلا بالنظر السوي مصدرا لدعوته بما مر من الاستمالة والاستعطاف حيث قال: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ ﴾ (مريم:٤٣).

فتدرج الخليل ﷺ بدعوة أبيه، بالأسهل فالأسهل، فأخبره بعلمه، وأن ذلك موجب لاتباعك إياي، وأنك إن أطعتني، اهتديت إلىٰ صراط مستقيم، ثم نهاه عن عبادة الشيطان، وأخبره بما فيها من المضار، ثم حذره عقاب الله ونقمته إن أقام علىٰ حاله، وأنه يكون وليا للشيطان، فلم ينجع هذا الدعاء بذلك الشقي، وأجاب بجواب جاهل وقال: ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ ﴾

(مريم:٤٦) فتبجح بآلهته التي هي من الحجر والأصنام، ولام إبراهيم عليه السلام عن رغبته عنها، وهذا من الجهل المفرط، والكفر الوخيم، يتمدح بعبادة الأوثان، ويدعو إليها.

وقد أمرنا الله باتباع ملة إبراهيم، فمن اتباع ملته، سلوك طريقه في الدعوة إلىٰ الله، بطريق العلم والحكمة واللين والسهولة، والانتقال من مرتبة إلىٰ مرتبة والصبر علىٰ ذلك، وعدم السآمة منه، والصبر علىٰ ما ينال الداعي من أذىٰ الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلي[1].

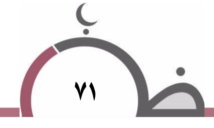
الأسلوب القرآني البديع في بيان رحمة ابراهيم عليه السلام بأبيه:

تناول المفسرون ا لآيات من سورة مريم بالشرح والتحليل وكذلك بيان الأسلوب القرآني في هذه الآيات، وسف أذكر عشر نقاط منها[2]:

١ - تكرار النداء في هذه الآيات بقوله: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ أربع مرات تكرير اقتضاه مقام استنزاله إلىٰ قبول الموعظة لأنها مقام إطناب. ونظر ذلك بتكرير لقمان قوله: ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ ثلاث مرات، قال: بخلاف قول نوح لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ

(١) تفسير أبو السعود (٥/ ٢٦٧)، وتفسير السعدي ص (٤٩٥)، وفي ظلال القرآن، لسيد قطب (٤/ ٢٣١١).

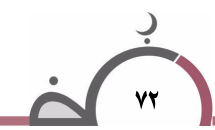
(٢) تفسير أبي السعود (٥/ ٢٦٧)، والتفسير الواضح، لحجازي (٢/ ٤٥٦)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (١٦/ ١١٣)، وزهرة التفاسير، لأبي زهرة (٩/ ٤٦٤٨).



ﱡﭐ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﱠ (هود: ٤٢) مرة واحدة دون تكرير لأن ضيق المقام يقتضي الإيجاز وهذا من طرق الإعجاز». إبراهيم عليه السلام يخاطب أباه متلطفا بقوله: ﱡيَٰٓأَبَتِﱠ ليُشعره بأنه ابنه، والابن البار يكون حريصاً علىٰ ما ينفع أباه.

٢ - الإظهار في موضع الإضمار في قوله تعالىٰ: ﱡ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﱠ (مريم: ٤٤) لزيادة التقرير والاقتصار علىٰ ذكر عصيانه من بين سائر جناياته لأنه ملاكها أو لأنه نتيجة معاداته لآدم عليه السلام وذريته فتذكيره داع لأبيه إلىٰ الاحتراز عن موالاته وطاعته والتعرض لعنوان الرحمانية لإظهار كمال شناعة عصيانه.

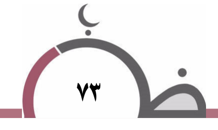
٣ - إبراهيم عليه السلام لم يصف أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الكامل وقد منعه الخُلُق الودود من ذلك، بل قال له: ﱡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ﱠ والمعرفة ﱡ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ ﱠ تعفف عن أن يرميه بالجهل، وتعفف عن ادعاء العلم الكامل حتىٰ لَا يكون مستطيلا بفضل علمه علىٰ أبيه ومستعليا عليه، بل قال: ﱡ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ ﱠ، أي بعض العلم، وذلك يجعلني أدعوك إلىٰ الحق، واستماله برفق حيث قال: ﱡ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﱠ أي مستقيماً موصلاً إلىٰ أسنىٰ المطالب منجياً عن الضلال المؤدي إلىٰ مهاوي الردىٰ والمعاطب، وهذا جذب لأبيه ليصل إلىٰ الحق بطرق سديدة، يشككه في اعتقاده ثم يلمح له بأن الخير في اتباعه وترك ما هو عليه.



٤ – قوله تعالىٰ: ﴿ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾، وذكره العلم داع لأن يتبعه؛ لأن الأب الرفيق العاطف يحب لابنه العلم، ولو كان أعلىٰ منه، وإذا كان له بعض العلم الذي يسره، ولا يضره، فإنه يتبعه.

٥ – توجه إبراهيم عليه السلام إلىٰ أبيه بخطابه بوصف الأبوة إيماء إلىٰ أنه مخلص له النصيحة، وألقىٰ إليه حجة فساد عبادته في صورة الاستفهام عن سبب عبادته وعمله المخطئ، منبها علىٰ خطئه عند ما يتأمل في عمله، فإنه إن سمع ذلك وحاول بيان سبب عبادة أصنامه لم يجد لنفسه مقالا ففطن بخطل رأيه وسفاهة حلمه، فإنه لو عبد حيا مميزا لكانت له شبهة ما. وابتدأ بالحجة الراجعة إلىٰ الحس إذ قال له: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ﴾ (مريم: ٤٢) فذلك حجة محسوسة، ثم أتبعها بقوله: ﴿ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ (مريم: ٤٢)، ثم انتقل إلىٰ دفع ما يخالج عقل أبيه من النفور عن تلقي الإرشاد من ابنه بقوله: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴾ (مريم: ٤٣)، فلما قضىٰ حق ذلك انتقل إلىٰ تنبيهه علىٰ أن ما هو فيه أثر من وساوس الشيطان، بقوله: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ (مريم: ٤٥)، أي إن الله أبلغ إليك الوعيد علىٰ لساني، فإن كنت لا تجزم بذلك فافرض وقوعه فإن أصنامك لم تتوعدك علىٰ أن تفارق عبادتها.

٦ – ابتدأ بندائه بقوله: ﴿ يَٰٓأَبَتِ ﴾ وهو نداء المحبة العاطفة المقربة، وذلك شأن الداعي الكامل يبتدئ بما يقرب ولا ينفر. والتاء في قوله تعالىٰ:



﴿ يَٰٓأَبَتِ﴾ عوض عن ياء المتكلم، وذكرها بدل الياء مبالغة في التلطف والرفق، بل ربما يكون فيها من تدلل الأبناء علىٰ الآباء معنىٰ محبب مقرب.

٧ – ساق إرشاده مَساق الاستفهام المتلطف، لا مقام الآمر المستعلي سائلا له سؤال المستفهِم في سياقه، ولكن المنبه بأرفق تعبير: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾ (مريم:٤٢)، لقد وصف معبوده وهو الصنم بثلاث صفات سلبية:

الوصف الأول: أنه لَا يسمع، وكيف يعبد من يسمع ما لَا يسمع، فهو أقل كمالا منه وهو عاجز، لأن عدم السماع عجز.

الوصف الثاني: أنه لَا يبصر وأنت تبصر، ومن يبصر أكمل مما لَا يبصر، فكيف تعبد هذا الذي ينقص عنك، وأنت خير وأفضل منه.

الوصف الثالث: أنه لَا يدفع عنه ضرا ولا يجلب له نفعا، وهذا قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾، أي لَا يدفع شيئا، ومجموع هذه الصفات السلبية تفيد أنه لَا يجلب له أي نفع.

٨ – ما قرر له أن عبادته الأصنام اتباع لأمر الشيطان عصي الرحمان انتقل إلىٰ توقع حرمانه من رحمة الله بأن يحل به عذاب من الله، فحذره من عاقبة أن يصير من أولياء الشيطان الذين لا يختلف البشر في مذمتهم وسوء عاقبتهم، ولكنهم يندمجون فيهم عن ضلال بمآل حالهم. وللإشارة إلىٰ أن أصل حلول العذاب بمن يحل به هو الحرمان من الرحمة في تلك الحالة عبر عن الجلالة

بوصف الرحمان للإشارة إلىٰ أن حلول العذاب ممن شأنه أن يرحم إنما يكون لفظاعة جرمه إلىٰ حد أن يحرمه من رحمته من شأنه سعة الرحمة.

٩ - ناداه بالأبوة وكرره تعطيفا وتلطيفا وتقربـًا،إعادة ندائه بوصف الأبوة تأكيد لإحضار الذهن ولإمحاض النصيحة المستفاد من النداء الأول.

١٠ - يقول العلماء التحلية قبل التخلية، بين أن الأوثان عاجزة في ذاتها عن جلب النفع ودفع الضرر، وذلك كافٍ للامتناع عن عبادتها، فإنما يعبد العاقل من هو أعلىٰ منه قدرة وفهما وإدراكا، وهذه دونه في الخلق والتكوين، فمن يعبد؟! أخذ يبين له المعبود فقال بنداء المتوسل المتحبب: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ (مريم:٤٣).

١١ - وقوله: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾ (مريم: ٤٥) تحذير من سوء عاقبة ما كان عليه من عبادة الشيطان وهو ابتلاؤه بما ابتلي به معبوده من العذاب الفظيع وكلمة من متعلقة بمضمر وقع صفة للعذاب مؤكدة لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية.

١٢ - إظهار الرحمن للإشعار بأن وصف الرحمانية لا يدفع حلول العذاب كما في قوله ﷻ ما غرك بربك الكريم: ﴿ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ (مريم: ٤٥).

١٣ - وفي ذكر الخوف من العذاب والمس له دون الإصابة به، وتنكير العذاب المفيد للتقليل أدب جم، وتلطف كريم ليس غريبا علىٰ إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن. والتعبير بالخوف الدال علىٰ الظن دون القطع تأدب مع الله

تعالىٰ بأن لا يثبت أمرا فيما هو من تصرف الله، وإبقاء للرجاء في نفس أبيه لينظر في التخلص من ذلك العذاب بالإقلاع عن عبادة الأوثان.

١٤ - قال: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ﴾، هنا إشارات بيانية، إذ الظاهر إصابته بالعذاب المقرر للمشركين، وهو أن يدخل الجحيم، ولكنه أولاً عبر بالمس، وكأنه لَا يريد التهويل علىٰ نفسه وعلىٰ أبيه بأنه سيصيبه العذاب لذلك الشرك، والشرك ظلم عظيم، هذه هي الأولىٰ، أما الثانية أنه ذكر أن العذاب كان من الرحمن. وأنه كان ممن من شأنه الرحمة، ولكنه آثر الطريق المعوج فكان العذاب، والثالثة أنه يخشىٰ عليه من أن ينهمك في المعاصي فيكون وليا للشيطان في الدنيا، ويكون قرينا له في الآخرة، وكأنه كان مخيرا بين ولاية الرحمن ورحمته، وشقوة الشيطان وولايته فاختار ولاية الشيطان وصار وليه وساء قرينا.

وكانت عبارته في التخويف في أدب، ولم يصرح بالعقاب الشديد، وإن نبه إليه في شدة، بأنه سيكون وليّ الشيطان وقرينه، وبئس ولايته، وأن يكون له قرينا.

المسألة الثالثة: المخالف من الأبناء:

من كمال نعم الله ﷻ أن جعل الأنبياء بشراً مثلنا، لهم من القلوب والمشاعر وحب الزوجة والأبناء واشتهاء الذرية والحب الشديد لهم، بل الخوف عليهم ما يجعلهم قدوة لنا في الحرص علىٰ الأسرة ومكوناتها، وذلك

مصداقا لقوله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأۡتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ لِكُلِّ أَجَلٖ كِتَابٞ ﴾ (الرعد: ٣٨).

حب الأبناء من الفطرة التي فطر الله الناس عليها؛ فالأبناء نعمة وزينة في الحياة الدنيا وذخر في الآخرة كما قال الله ﷻ في كتابه العزيز: ﴿ ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴾ (الكهف: ٤٦) فهي هبة من الله ﷻ حيث قال في كتابه العزيز: ﴿ لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَنۡ يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴾ (الشورىٰ: ٤٩ – ٥٠) ومن المعلوم من هذه الآية الكريمة أن الذرية مظهر من مظاهر المنح والمنع والعطاء من الله ﷻ للبشر، وحين يمنح الله ﷻ فهذا المنح لابد أن يعقبه شكر علىٰ عطاء الله وعند المنع لابد أن يلازم المنع الدعاء والصبر، والمنع والعطاء في الذرية كان أحد الجوانب الإنسانية في حياة الأنبياء التي عايشوها وظهرت مشاعرهم وأحاسيسهم في هذا الشأن، فكانوا آباء يتحملون أعباء أبنائهم ومشقة دعوتهم.

وفي **هذا المطلب** يتجلىٰ موقف نوح عليه السلام مع ابنه من خلال قوله تعالىٰ: ﴿ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ۝٤٣ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ

﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (هود: ٤٢ - ٤٧).

مشهد السفينة وهي تسير بإذن الله وتحت كنفه ورعايته وحراسته، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ (الحاقة: ١١ - ١٢)، وقال سبحانه: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ (القمر: ١٣ - ١٥).

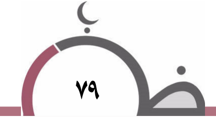
مشهدها وهي تجري بهم وسط أمواج كالجبال الشاهقة في ارتفاعها وعظم حجمها، وهذا يدل علىٰ حصول رياح عاصفة شديدة حينذاك، والمقصود: بيان شدة الهول والفزع.

المشهد عظيم؛ تهطل أمطاراً غزيرة من السماء حتىٰ أصبح الموج كالجبال الشاهقة العظيمة لارتفاعه وصعوبة اختراقه، وهنا تحركت عاطفة الأبوة الفطرية في نفس نوح ﷺ، والفطرة السليمة تتحرك فيها العواطف الإنسانية، فنادىٰ علىٰ ابنه خشية الغرق، نوح ﷺ بنفسية الوالد الملهوف علىٰ ابنه في أحلك اللحظات خوفا عليه يناديه: ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا﴾ طلبا لنجاته وأمنه فرد الولد المغرور الذي لا يرىٰ أبعد من تحت قدميه: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ

جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴾ (هود: ٤٣). وكانت الفرصة الأخيرة للنجاة فحال الموج بين الوالد والولد فأصبح الولد من الغارقين.

وبعد الهدوء استوت السفينة علىٰ الجودي فلم تكن نفس الوالد الحاني قد هدأت بعد، فقد حاول ثانية محاولة الأب المشفق الحريص علىٰ نجاة ابنه؛ نظر نوح ﵇ فلم يجد غير جبال الموج التي ترتفع وترفع معها السفينة وتفقدها رؤية كل شيء غير المياه. فقد كانت رحمة الله أن يغرق الابن بعيدا عن عين أبيه رحمة منه بالأب. فتحركت عواطف الأبوة في قلب نوح فنادىٰ ربه كما ورد بكتاب الله العزيز: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ (هود: ٤٥) واستبدت العاطفة مرة أخرىٰ بنوح علىٰ ابنه، فسأل ربه سؤال تسليم وكشف عن حال ولده، فقال مناديا ربه: رب إن ابني من أهلي، وقد وعدتني بنجاتهم، ووعدك الحق الذي لا يخلف، فما مصيره، وأنت أحكم الحاكمين وأعدلهم بالحق، فحكمك يصدر عن كمال العلم والحكمة، وتمام العدل والصواب، حكمت علىٰ قوم بالنجاة، وعلىٰ قوم بالغرق.

فأجابه ربه: ﴿ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾



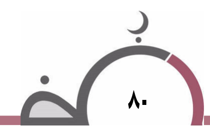
(هود: ٤٦ - ٤٧) وبذلك يتبن له أن ابنه ليس من أهله الذين وعده الله بإنجائهم لأنه إنما وعدته بنجاة من آمن من أهله، وابنه ذو عمل غير صالح، أي تنكر لدعوة الهدىٰ والصلاح، وانضم مع الكافرين وهذا تعليل لانتفاء كونه من أهله، قال الجمهور: ليس من أهل دينك ولا ولايتك. وفي الآية دلالة علىٰ أن العبرة بقرابة الدين، لا بقرابة النسب، وأن حكم الله في خلقه قائم علىٰ العدل المطلق[1].

نداء الرحمة:

في إلماحة سريعة حول النداء، نجد أنه: تصويت بالمنادَىٰ ليُقبِل، أو هو طلب إقبال المدعو إلىٰ الداعي، وقد يستخدم في أول الكلام، أو خلاله، ويكون النداء للبعيد، وقد يُنادَىٰ القريب إذا كان ساهيًا أو غافلاً؛ تنزيلاً له منزلة البعيد، وقد ينادىٰ القريب الذي ليس بِسَاهٍ ولا غافل، إذا كان الخطاب المرتَّب علىٰ النداء في محل الاعتناء بشأن المنادىٰ، ومن أغراضه أن يكون النداء للتأسُّف، أو للتلهف، أو للتنبيه، أو للتَحَزُّن، أو للتكريم والتلطف.

وقد حصل النداءُ في كثيرٍ من آيات القرآن الكريم، أما الآيات التي ورد فيها الحوار بين الآباء والأبناء، فقد جاء النداء فيها مصاحبًا لوصف البنوَّة مصغرًا، إفرادًا وجمعًا، وكذلك مصاحبًا لوصف الأبوَّة، سواء كان المُنادَىٰ

(١) التحرير والتنوير (١٢/ ٧٦)، وفي ظلال القرآن، لسيد قطب (٨/ ١٨٦٨)، وزهرة التفاسير، لأبي زهرة (٧/ ٣٧١٢)، والتفسير المنير، للزحيلي (١٢/ ٧٦ - ٧٨).

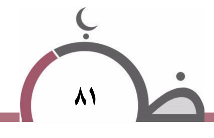


فردًا أو جمعًا من الأبناء، ومن الأمثلة على ذلك: يا بُنَيَّ: ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﴾ (هود: ٤٢) يا بَنِيَّ: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ ﴾ (يوسف: ٦٧) يا أبتِ: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ ﴾ (الصافات: ١٠٢)، يا أبانا: ﴿ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبۡغِيۖ ﴾ (يوسف: ٦٥).

واستخدام النداء مع حضور المُنادَىٰ له أهمية خاصة بين الأب والابن، فالنداءُ المقصود هنا جاءت فيه أداة النداء (يا) مع لفظ البنوة مُصغرًا (بُنَيَّ)؛ دلالةً علىٰ المحبة وإخلاص النصح، وتنبيهًا علىٰ شدة وقُرب مكانة الابن من الأب، كما أن له عددًا من الفوائد الجليلة، منها علىٰ سبيل المثال:

١- أن استخدام النداء مُرَغِّب في الامتثال، حيث نادىٰ كلٌّ من إبراهيم ويعقوب عليهما السلام أبناءهما بقولهما: ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ فهو نداء تكريم وتلطف، يُرغِّب في امتثال الوصية؛ يقول تعالىٰ: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٢).

٢- واستخدام النداء يدلُّ علىٰ الرغبة في إرشاد الابن برفقٍ، ويدل علىٰ شفقة الأب، وشفقةُ الأب بابنه من أشد أنواع الشفقة، فكيف إذا اجتمع معها الخوفُ من موت الابن علىٰ الكفر كما كان من نوح عليه السلام مع ابنه في قوله تعالىٰ: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (هود:٤٢)، فناداه: بـ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ مستعطفًا ومذكِّرًا له بحق الأبوة، في حين صدَّ الكفرُ الابنَ عن الاستجابة لأبيه، فردَّ علىٰ حنانه بفظاظة وبُعدٍ عن اللين الذي يتطلَّبه البرُّ، فلم يقل في المقابل: يا أبتِ؛ بل قال: ﴿ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي



﴿ مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ (هود: ٤٣).

ويضيف التصغيرُ لكلمة ابن - بُني - مع النداء أغراضًا مختلفة باختلاف موضوع الحوار؛ فقد يجيء لإظهار التَحنُّن والتحزُّن؛ كما استعمله نوح عليه السلام في نداء ابنه؛ ليستجيش به مشاعرَه، ويستميل قلبَه الذي علاه رانُ الكفر للإيمان والنجاة.

ويفيد التصغير معنىٰ التحبُّب، كما كان من يعقوب مع يوسف عليهما السلام في قوله تعالىٰ: ﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (يوسف:٥)، «وفي ذلك كناية عن إمحاض النصح له».

وفي الآيات التي حكتْ موعظةَ لقمانَ لابنه، يقول تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ (لقمان:١٣)، ثم تكرَّرت كلمة: ﴿ يَٰبُنَيَّ ﴾ فيما بعدها من آيات، فأفادتْ معنىٰ التكريم والتلطف.

ويظهر مما سبق أن تصغيرَ كلمة ابن - بُني - ليس بالضرورة أن يكون علىٰ «حقيقة التصغير وإن كان علىٰ لفظه، وإنما هو علىٰ وجه الترقيق»، فيحصل فيه تنزيلُ المخاطب الكبير منزلةَ الصغير؛ كنايةً عن الشفقة به، والتحبب له، وذلك أدعىٰ لقَبول النصح.

وفي المقابل لا بد من الإشارة هنا إلىٰ أهمية النداء المصاحب للفظ

الأبوة - يا أبت - وإن كان هذا هو المعتاد في خطاب الأبناء مع الآباء، إلا أنه لم يأتِ في الآيات التي بيَّنتْ حال الأبناء مع الآباء جافًّا معتادًا، حتىٰ وإن كان مع الأب الكافر كآزر؛ بل دلَّ سياقُ الآيات علىٰ صدوره من الأبناء بنبرة الصوت التي تُناسب المقام، وبما يوافق الغرضَ من النداء، كالاستعطاف والتوسل في حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه، والتوقيرِ في حوار يوسف عليه السلام مع أبيه.

ويلاحظ أن النداء قد يتكرر في الموقف الواحد أكثرَ من مرة، كما حصل بين لقمان وابنه، وإبراهيم عليه السلام وأبيه، وفي ذلك دلالةٌ علىٰ فرط النصيحة، وشدة الحرص، وإعادة تنشيط السامع.

روعة الأسلوب القرآني في الآيات:

يلفت الأنظار ذلك الإعجاز البلاغي الذي انتظمت فيه الآيات المباركات في سورة هود، فأعجزت أهل البلاغة والبيان حتىٰ نكست قريش لما سمعوا الذكر الحكيم وأخذ بلبهم وحاروا في وصف بلاغة كلام الله وإعجازه ومن ذلك[1]:

١ - قال تعالىٰ: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ ﴾ ولم يقل: وقال نوح. فما سر ذلك؟ لان النداء يكون للبعيد في أصله، فكان نداء نوح لابنه لأنه كان في مكان يبعد عنه

(١) نظم الدرر، للبقاعي (٩/ ٢٨٨)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور (١٢/ ٧٥ - ٧٦)، وزهرة التفاسير، لأبو زهرة (٧/ ٣٧١٢).

يحتاج إلىٰ رفع الصوت بالنداء عليه، ولعل ما يدل عليه قوله تعالىٰ: ﴿ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ ﴾ أي: إن هناك ما يحول بين نوح وابنه وربما اقتضىٰ ذلك ان ينادي عليه، فناسب مقتضىٰ الحال ان تأتي لفظة «نادىٰ» لا لفظة «قال».

٢ - قال تعالىٰ: ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ولم يقل: ولا تكن من الكافرين فما سر ذلك؟ «الكافرين» هذه المعية إنما تعود لقول نوح عليه السلام: ﴿ ٱرْكَب مَّعَنَا ﴾ وقيل في ذلك: بأن نوح عليه السلام لما دعاه إلىٰ الركوب أراد أول الأمر نجاته وإن لم تكن مؤمنا لكنك اركب معنا وادخل في حضيرتنا وبعد ذلك قرر فيما كنت ستؤمن أو لا ، ولأن نوح عليه السلام أراد من ولده أن يركب معه علىٰ أي حال من عقيدته كانت المهم الركوب للنجاة، فإذا ركب معهم ودخل في مجتمع المؤمنين نوح عليه السلام ومن آمن معه سيألف ذلك المجتمع فتكون دعوة لتغيير عقيدته، بل حتىٰ أن الآية لم تقل من الكافرين لأن من تفيد في بعض معانيها استغراق الجنس ولعل في ذلك نكتة أن ابن نوح عليه السلام إلىٰ ما قبل الغرق والطوفان لم يكن من الكافرين لكنه بمعصية أمر والده نوح عليه السلام كتب معهم وكان شريكاً لهم في المعصية ، وفي هذه الآية التفاتة دقيقة ، ووقفة جديرة بالتأمل.

٣ - قال تعالىٰ: ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ﴾ ولم يقل: «لا عاصم اليوم من الماء» مع أن الحديث كان عن الغرق والطوفان الذي أغرق الأرض، فما سر ذلك.؟ لأنه لم يكن ماء طبيعياً يجري كما تجري الظواهر

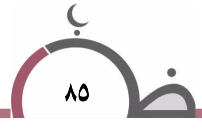
الكونية الأخرىٰ بأسبابها الطبيعية إنما ماء فيه قضىٰ الله أمراً أن يغرق من خالف أمر نوح أو إنما ماء فيه أمر الله ولم يكن ماء طبيعيا مألوفا أي لا عاصم اليوم من الطوفان الذي قضىٰ الله فيه أمره أن هؤلاء مغرقون.

٤ - فقول نوح ﷺ: ﴿ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﴾ بيان لجملة نادىٰ وهي إرشاد له ورفق به. ودعوته إلىٰ الإيمان بطريقة العرض والتحذير.

٥ - جملة ﴿ وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ معطوفة علىٰ جملة ﴿ ٱرۡكَب مَّعَنَا ﴾ لإعلامه بأن إعراضه عن الركوب يجعله في صف الكفار إذ لا يكون إعراضه عن الركوب إلا أثرا لتكذيبه بوقوع الطوفان.

٦ - عطفت جملة ﴿ وَنَادَىٰ ﴾ علىٰ أعلق الجمل بها اتصالا وهي ﴿ وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا ﴾ (هود: ٤١) لأن نداءه ابنه كان قبل جريان السفينة في موج كالجبال، إذ يتعذر إيقافها بعد جريها لأن الراكبين كلهم كانوا مستقرين في جوف السفينة. والمعزل: مكان العزلة أي الانفراد، أي في معزل عن المؤمنين إما لأنه كان لم يؤمن بنوح ﷺ فلم يصدق بوقوع الطوفان، وإما لأنه ارتد فأنكر وقوع الطوفان فكفر بذلك لتكذيبه الرسول.

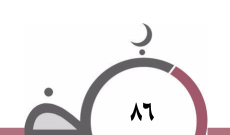
٧ - قال تعالىٰ: ﴿ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴾ ليعلم السامع أو يوقف نظره إلىٰ أن الغرق الذي شمل ابن نوح ﷺ ومن كان معهم لم يكن غرقا لسبب طبيعي علىٰ نحو ما يجري فيمن يغرق عادة إنما هو غرق بفعل المعصية التي صدرت منهم أي إنهم مغرقون لا محالة لأن في ذلك قضاء الله عليهم لا لشيء آخر.



٨ - وقد زاد ابنه دلالة علىٰ عدم تصديقه بالطوفان قوله متهكمًا ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾.

٩ - و(بني) تصغير (ابن) مضافا إلىٰ ياء المتكلم. وتصغيره هنا تصغير شفقة بحيث يجعل كالصغير في كونه محل الرحمة والشفقة.

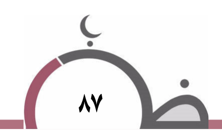
* * *



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، انتهيت من خلال بحثي في هذا الموضع لما يلي:

- الإسلام دين الله الخاتم الذي أرسل به الله تعالىٰ محمداً ﷺ رحمة للعالمين، وارتضىٰ دينه من بين سائر الأديان دينـًا.
- الإسلام سبق إلىٰ رعاية حرية الإنسان في البقاء علىٰ دينه، وأن لا يكره علىٰ تركه، كما ضمن حرية العبادة وسلامة دورها.
- حرص فقهاء الإسلام وملوكهم علىٰ رعاية أهل الذمة وحراسة حقوقهم فرقـًا من وعيد النبي ﷺ لمن ظلمهم واعتدىٰ عليهم.
- الله يحب المسلم الذي يعدل ويبر أهل الذمة بصور البر المختلفة من صلة وهدية وعيادة وضيافة وإكرام.
- أدركت الأمم عظمة الإسلام وسماحة دين الفاتحين، فأحسنت استقبالهم وكانت عونـًا لهم علىٰ حفظ الثغور ورد العدوان.
- شمل الإسلام بتعاليمه أهل الذمة في نظامه التكافلي، فتحول الذمي من دافع للجزية إلىٰ مكفول من قبل المجتمع المسلم.
- وقد تجلىٰ حسن الخلق عند المسلمين في تعاملهم مع غيرهم في كثير



من تشريعات الإسلام التي أبدعت الكثير من المواقف الفياضة بمشاعر الإنسانية والرفق.

التوصيات:

أوصي الباحثين في مجال الدراسات القرآنية إبراز الأخلاق الفاضلة التي دعا إليها الإسلام، وتناولتها الآيات القرآنية. مثل خُلق الرحمة فالبحث فيه واسع جداً؛ فالمتأمل في سورة مريم يظهر له بجلاء جوانب الرحمة التي تحدثت عنها هذه السورة، وتكرار ما يدل علىٰ صفة الرحمة لله تعالىٰ وقد نوه عن هذا المعنىٰ الإمام ابن عاشور حيث قال: «وقد تكرر في هذه السورة صفة الرحمن ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات، فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالىٰ بصفة الرحمن والرد علىٰ المشركين الذين تقعروا بإنكار هذا الوصف كما حكىٰ الله تعالىٰ عنهم بقوله في سورة الفرقان: ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَـٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ** ﴾ (الفرقان:٦٠)»[1].

❊ ❊ ❊

(١) التحرير والتنوير (١٦/ ٥٩).



قائمة المصادر والمراجع

(١) **أخلاقنا.** جوهري، محمد ربيع. ط٢، السعودية: دار الاعتصام، ١٤١٨هـ.

(٢) **إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم.** أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفىٰ. د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

(٣) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن.** الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر. د.ط، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

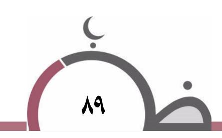
(٤) **إعلام الموقعين عن رب العالمين.** ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية.

(٥) **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان.** ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. تحقيق: محمد حامد الفقي. د.ط، الرياض: مكتبة المعارف، د.ت.

(٦) **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.** الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب. تحقيق: محمد علي النجار، د.ط، القاهرة: المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ت.

(٧) **التحرير والتنوير.** ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد. د.ط، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ.

(٨) **التعايش مع غير المسلمين في المجتمع المسلم.** السقار، منقذ بن محمود. ط١، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.



(٩) **تفسير القرآن العظيم.** ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. تحقيق: سامي بن محمد سلامة، د.ط، الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع، د.ت.

(١٠) **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج.** الزحيلي، وهبة بن مصطفىٰ. ط٢، دمشق: دار الفكر المعاصر، ١٤١٨هـ.

(١١) **تهذيب الأخلاق في الإسلام.** عبد الغني، عبد المقصود. د.ط، القاهرة: دار الثقافة العربية، ١٤١٢هـ.

(١٢) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان.** ابن السعدي، عبدالرحمن بن ناصر. تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(١٣) **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري.** البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله. تحقيق: محمد زهير الناصر، ط١، مصر: دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٢٢هـ.

(١٤) **الجامع لأحكام القرآن.** القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر. تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(١٥) **الدعوة إلىٰ الله وأخلاق الدعاة.** ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله. ط٤، الرياض: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(١٦) **الرياض الناضرة والحدائق الزاهرة.** ابن السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، ط٢، عنيزة: مركز صالح بن صالح ، ١٤١٢هـ.

(١٧) **زهرة التفاسير.** أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفىٰ بن أحمد. د.ط، د.م: دار الفكر العربي، د.ت.

(١٨) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية.** الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، بيروت: دار العلم للملايين، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

(١٩) **الصواعق المرسلة في الرد علىٰ الجهمية والمعطلة.** ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله. د.ط، الرياض: دار العاصمة، د.ت.

(٢٠) **الطرق الحكمية.** ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. د.ط، د.م: مكتبة دار البيان، د.ت.

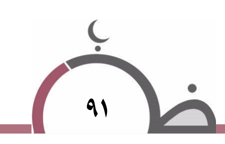
(٢١) **فتح الباري شرح صحيح البخاري.** ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد. تحقيق: محمود بن شعبان بن عبدالمقصود، د.ط، د.م:د.ن، د.ت.

(٢٢) **الفروق = أنوار البروق في أنواء الفروق.** القرافي، أبو العباس أحمد ابن إدريس. د.ط، د.م: عالم الكتب، د.ت.

(٢٣) **فقه الأسماء الحسنىٰ.** البدر، عبد المحسن. ط٢، الرياض: دار التوحيد للنشر، ١٤٣٠هـ.

(٢٤) **فقه الخلاف وأثره في القضاء علىٰ الإرهاب.** الشبيلي، يوسف بن عبد الله. د.ط، السعودية: منشور علىٰ موقع وزارة الأوقاف السعودية، د.ت.

(٢٥) **في ظلال القرآن.** سيد قطب، سيد قطب إبراهيم حسين. ط١٧، بيروت، القاهرة: دار الشروق، ١٤١٢هـ.



(٢٦) **القاموس المحيط.** الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. تحقيق: مكتب تحقيق التراث الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، د.ط، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

(٢٧) **كتاب التعريفات.** الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. حققه وضبطه وصححه: جماعة من العلماء، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٢٨) **لسان العرب.** ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ.

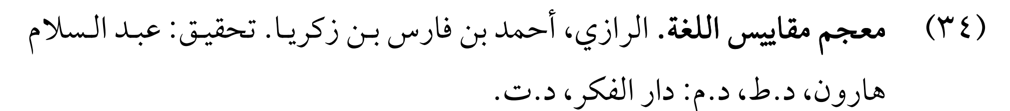
(٢٩) **المبسوط.** السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل. د.ط، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٣٠) **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين.** ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب. تحقيق: محمد المعتصم بالله، بيروت: دار الكتاب العربي، د.ت.

(٣١) **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله ﷺ.** مسلم، الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت.

(٣٢) **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير.** الفيومي، أحمد بن محمد بن علي. د.ط، بيروت: المكتبة العلمية، د.ت.

(٣٣) **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي.** البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.



(٣٤) **معجم مقاييس اللغة.** الرازي، أحمد بن فارس بن زكريا. تحقيق: عبد السلام هارون، د.ط، د.م: دار الفكر، د.ت.

(٣٥) **مفاتيح الغيب.** فخر الدين الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين. ط٣، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

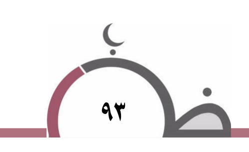
(٣٦) **مقال «قواعد في التعامل مع المخالف من منظور ابن القيم».** الأنصاري، خالد بن محمد، منشور في موقع المختار الإسلامي (**http://islamselect.net/mat/94201**)، ١٤٣٣هـ.

(٣٧) **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر.** ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن. تحقيق: محمد عبدالكريم الراضي، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٣٨) **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ.** مجموعة من المختصين. إشراف: الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد، ط٤، جدة: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، د.ت.

(٣٩) **النهاية في غريب الحديث والأثر.** ابن الأثير، مجد الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم. تحقيق: طاهر أحمد الزاوئ، ومحمود الطناحي، بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

❊ ❊ ❊



List of Sources and References

(1) Akhlaquna. Jawhari, Muhammad Rabee. 2nd ed., Saudi Arabia: Dar Al-Itisam, 1418H.

(2) Irshad Al-Aql As-Saleem ila Mazaya Al-Kitab Al-Kareem. Abu As-Saud Al-Ammadi, Muhammad Bin Muhammad Bin Mustafa. N.d, Beirut: Dar Ihya At-Turath Al-Arabi, n.d.

(3) Adhwa Al-Bayan fi Iedhah Al-Quran bi Al-Quran. Ash-Shanqeeti, Muhammad Al-Amin Bin Muhammad Al-Mukhtar Bin Abdul Qadir. N.d, Beirut: Dar Al-Fikr Printers Publishers and Distributors, 1415H – 1995.

(4) I'lam Al-Muwaqqieen an Rabb Al-Aalameen. Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad Bin Abi Bakr Bin Ayyoob. Edited by: Muhammad Abdus Salam Ibrahim, n.d, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

(5) Ighathat Al-Lahfan min Masayid Ash-Shaytan. Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad Bin Abi Bakar Bin Ayyoob. Edited by: Muhammad Haamid Al-Faqqi. N.d, Riyadh: Al-Maarif Bookstore, n.d.

(6) Basa'ir Thawi At-Tamyeez fi Lataif Al-Kitab Al-Aziz. Al-Fairoozabadi, Majduddin Muhammad Bin Yaqub. Edited by: Muhammad Ali An-Najjar, .d, Cairo: Higher Council of Islamic Affairs – Committee of Islamic Cultural Revival, n.d.

(7) At-Tahreer wa At-Tanweer. Ibn Aashoor, Muhammad At-Tahir Bin Muhammd Bin Muhammad. N.d, Tunis: Ad-Dar At-Tunisiyyah Publisher, 1984.

(8) At-Tayush ma Ghair Al-Muslimeen fi Al-Mujtama Al-Muslim, (Co-Existing With Non-Muslims in a Muslim Society). As-Saqqar, Munqith Bin Mahmood. 1st ed., Makkah Al-Mukarramah: Islamic World Union, 1427H – 2006.

(9) Tafseer Al-Quraan Al-Atheem. Ibn Katheer, Abu Al-Fidaa Ismaeel Bin Umar. Edited by: Sami Bin Muhammad Salamah, n.d, Riyadh: Dar Taybah Publishers and Distributors, n.d.

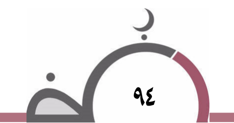
(10) At-Tafseer Al-Munir fi Al-Aqeedah wa Ash-Shariah wa Al-Manhaj. Az-Zuhaili, Wahbah Bin Mustafa. 2nd ed., Damascus: Dar Al-Fikr Al-Muasir, 1418H.

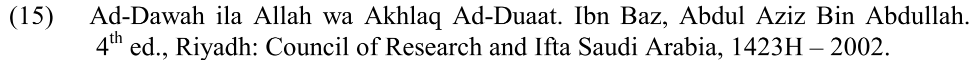
(11) Tahtheeb Al-Akhlaq fi Al-Islam. Abdul Ghani, Abdul Maqsood. N.d, Cairo: Dar Ath-Thaqafah Al-Arabiah, 1412H.

(12) Tayseer Al-Kareem Ar-Rahman fi Tafseer Kalam Al-Mannan. Ibn As-Saadi, Abdur Rahman Bin Nasir. Edited by: Abdur Rahman Bin Mualla Al-Luwaihiq, 1st ed., Beirut: Ar-Risalah Foundation, 1420H – 2000.

(13) Al-Jami Al-Musnad As-Saheeh Al-Mukhtasar min Umoor Rasoolillah wa Sunnatih wa Ayyamih – Saheeh Al-Bukhari. Al-Bukhari, Muhammad Bin Ismaeel Abu Abdullah. Edited by: Muhammad Zuhair An-Nasir, 1st ed., Egypt: Dar Tawq An-Najat, numbered by Muhammad Fuaad Abdul Baqi, 1422H.

(14) Al-Jami li Ahkam Al-Quraan. Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad Bin Ahmad Bin Abi Bakr. Edited by: Ahmad Al-Bardooni, and Ibrahim Atfeesh, 2nd ed., Cairo: Dar Al-Kutub Al-Masriah, 1384H – 1964.





(15) Ad-Dawah ila Allah wa Akhlaq Ad-Duaat. Ibn Baz, Abdul Aziz Bin Abdullah. 4th ed., Riyadh: Council of Research and Ifta Saudi Arabia, 1423H – 2002.

(16) Ar-Riyadh An-Nadhirah wa Al-Hada'iq Az-Zahirah. Ibn As-Saadi, Abdur Rahman Bin Nasir, 2nd ed., Unaizah: Saleh Bin Saleh Centre, 1412H.

(17) Zahrat At-Tafaseer. Abu Zahrah, Muhammad Bin Ahmad Bin Mustafa Bin Ahmad. N.d, n.d: Dar Al-Fikr Al-Arabi, n.d.

(18) As-Sihah Taj Al-Lughah wa Sihah Al-Arabiah. Al-Farabi, Abu Nasr Ismaeel Bin Hammad Al-Jawhari. Edited by: Ahmad Abdul Ghafood Ataar, 4th ed., Beirut: Dar Al-Ilm Lil Malayeen, 1407H – 1987.

(19) As-Sawa'iq Al-Mursalah fi Ar-Radd ala Al-Jahmiyyah wa Al-Muattilah. Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad Bin Abi Bakr Bin Ayyoob. Edited by: Ali Bin Muhammad Ad-Dakheelullah. N.d, Riyadh: Dar Al-Aasimah, n.d.

(20) At-Turuq Al-Hakeemah. Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad Bin Abi Bakr Bin Ayyoob. N.d, n.d: Dar Al-Bayan, n.d.

(21) Fath Al-Bari Sharh Saheeh Al-Bukhari. Ibn Rajab Al-Hanbali, Zainuddin Abdur Rahman Bin Ahmad. Edited by: Mahmood Bin Shaaban Bin Abdul Maqsood, n.d, n.d: n.d, n.d.

(22) Al-Furooq=Anwar Al-Burooq fi Anwaa Al-Furooq. Al-Qarafi, Abu Al-Abbas Ahmad Bin Idrees. N.d, n.d: Aalam Al-Kutub, n.d.

(23) Fiqh Al-Asmaa Al-Husna, (The Jurisprudence of Allah's Beautiful Names). Al-Badr, Abdul Muhsin. 2nd ed., Riyadh: Dar At-Tawheed Publishers, 1430H.

(24) Fiqh A-Khilaf wa Atharuh fi Al-Qadhaa ala Al-Irhab, (The Jurisprudence of Differences and Their Effects on Exterminating Terrorism). Ash-Shubaili, Yusuf Bin Abdullah. N.d, Saudi Arabia: published on the Saudi Ministry of Trusts website, n.d.

(25) Fi Thilal Al-Quraan. Syed Qutub, Syed Qutub Ibrahim Husain. 17th ed., Beirut, Cairo: Dar Ash-Shurooq, 1412H.

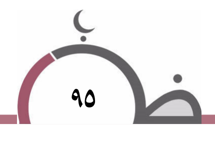
(26) Al-Qamoos Al-Muheet. Al-Fairoabadi, Majduddin Abu Tahir Muhammad Bin Yaaqub. Edited by: The Office of Cultural Achievement Ar-Risalah, under the supervision of: Muhammad Naeem Al-Arqoosi, n.d, Beirut: Ar-Risalah Foundation Printers Publishers and Distributors, n.d.

(27) Kitab At-Taareefat, (The Book of Definitions). Al-Jurjani, Ali Bin Muhammad Bin Ali Az-Zain Ash-Shareef. Edited corrected and edited by: a group of scholars, 1st ed., Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1403H – 1983.

(28) Lisan Al-Arab. Ibn Manthoor, Muhammad Bin Mukarram Bin Ali. 3rd ed., Beirut: Dar Sadir, 1414H.

(29) Al-Mabsoot. As-Sarkhasi, Muhammad Bin Ahmad Bin Abi Sahl. N.d, Beirut: Dar Al-Maarifah, 1414H – 1993.

(30) Madarij As-Saalikeen Bayn Manazil Iyyak Nabud wa Iyyak Nastaeen. Ibn Qayyim Al-Jawziyyah, Muhammad Bin Abi Bakr Bin Ayyoob. Edited by: Muhammad Al-Mutasim Billah, Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, n.d.





(31) Al-Musnad As-Saheeh Al-Mukhtasar bi Naql Al-Adl an Al-Adl ila Rasoolillah. Muslim, Al-Hajjaj Abu Al-Hasan Al-Qushairi An-Naisaboori. Edited by: Muhammad Fuaad Abdul Baqi, n.d, Beirut: Dar Ihya At-Turath Al-Arabi, n.d.

(32) Al-Misbah Al-Munir fi Ghareeb Ash-Sharh Al-Kabeer. Al-Fayyoomi, Ahmad Bin Muhammad Bin Ali. N.d, Beirut: Al-Maktabah Al-Ilmiyyah, n.d.

(33) Maalim At-Tanzeel fi Tafseer Al-Quraan = Tafseer Al-Baghawi. Al-Baghawi, Abu Muhammad Al-Husain Bin Masood Bin Muhammad. Edited by: Abdur Razzaq Al-Mahdi, 1st ed., Beirut: Dar Ihya At-Turath Al-Arabi, 1420H.

(34) Mujam Maqayees Al-Lughah. Ar-Razi, Ahmad Bin Faris Bin Zakaria. Edited by: Abdus Salam Haroon, n.d, n.d: Dar Al-Fikr, n.d.

(35) Mafateh Al-Ghaib. Fakhruddin Ar-Razi, Muhammad Bin Umar Bin Al-Hasan Bin Al-Husain. 3rd ed., Beirut: Dar Ihya At-Turath Al-Arabi, 1420H.

(36) An Article (Principles in Dealing With an Opposer From the Viewpoint of Ibn Al-Qayyim). Al-Ansari, Khalid Bin Muhammad, published on the website http://islamselect.net/mat/94201, 1433H.

(37) Nuzhat Al-Aayun An-Nawathir fi Ilm Al-Wujooh wa An-Natha'ir. Ibn Al-Jawzi, Jamaluddin Abu Al-Faraj Abdur Rahman. Edited by: Muhammad Abdul Kareem Ar-Raadhi, 1st ed., Beirut: Ar-Risalah Foundation, 1404H – 1984.

(38) Nudhrat An-naeem fi Makarim Akhlaq Ar-Rasool Al-Kareem. A group of specialists. Supervised by; Shiekh/Saleh Bin Abdullah Bin Humaid, 4th ed., Jeddah: Dar Al-Waseelah Publishers and Distributors, n.d.

(39) An-Nihayah fi Ghareeb Al-Hadeeth wa Al-Athar. Ibn Al-Atheer, Majduddin Muhamamd Bin Muhammad Bin Abdul Kareem. Edited by: Taaher Ahmad Az-Zawi, and Mahmood At-Tanahi, Beirut: Al-Ilmiyyah Bookstore, 1399H – 1979.



